الميثاق العربي الوطني

من كلمات

حجة الاسلام الامام المصلح الشهير

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

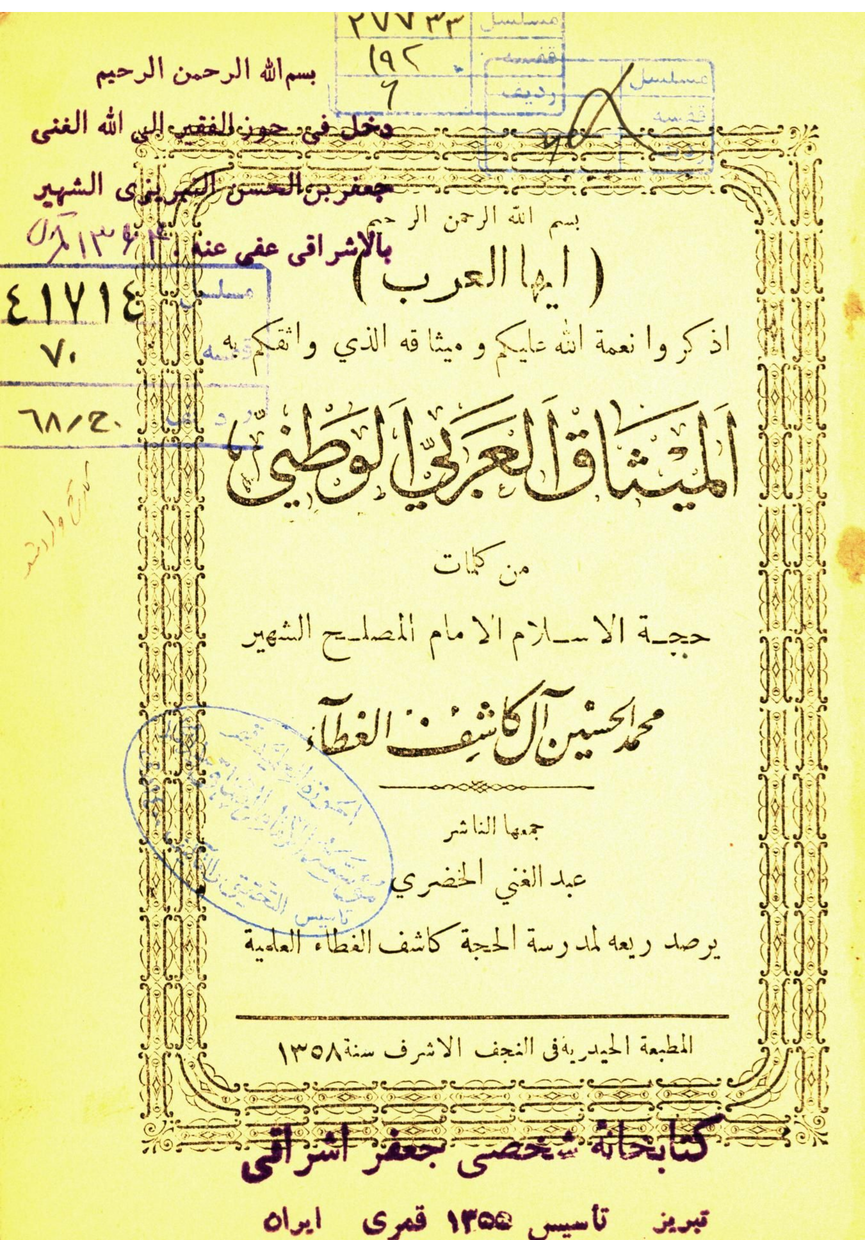
جمعها الناشر

عبد الغني الخضري

يرصد ريعه لمدرسة الحجة كاشف الغطاء العلمية

المكتبة المرتضوية ومطبعتها الحيدرية

النجف الأشرف العراق



بسم الله الرحمن الرحيم

(ايها العرب)

اذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به

الميثاق العربي الوطني

من كلمات

حجة الاسلام الامام المصلح الشهير

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

جمعها الناشر

عبد الغني الخضري

يرصد ريعه لمدرسة الحجة كاشف الغطاء العلمية

المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف سنة ١٣٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

« كلمة الناشر »

ألفت نظر القارى الكريم بكلمتي هذه وإن كنت (ناقل التمر الى هجر) الفته لما إنتاب الامة العربية من جراء الاختلافات التي تعاقبت عليها تعاقب الادوار على فناء الأعمار ولعبت بها دوراً بعيدا تلاعب الصبيان بالأكر والريح بالغثاء الاحوى حتى شتتت شملا طالما سهرت اعين الرجال العاملين لجمع شتاته ، وفرقت جمعاً بذلت أئمة الحق جهدها لتأليف وحداته ، . ان الامة العربية اذا نظرت لتأريخها الطارف والتليد تراه تاريخاً مجيدا مفعماً بالحمد والثناء ، والعزة والكبرياء ، ترى فيه اسمى مراتب الاخلاق الانسانية واعظم درجات الحضارة والعمران مما يدلك دلالة واضحة جلية على ما لهذه الامة الحية من الصفات السامية والاخلاق العالية التي تفخر بها كل دولة لو اتصفت ببعضها ولا اظن بك أيها القارى الكريم أن تطلب مني شاهداً على صدق دعواي اصدق من شهادة

الكتاب المجيد قال الله عز وجل في محكم كتابه قاصاً لنبيه احوال الامة العربية في اليمن وهم قوم سبأ : وحمير ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ﴾ الى قوله تعالى ﴿ فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم ﴾ والمراد بالعرم السد الذي أشادوه في ثغر الوادي ليحبس السيول المنبعثة اليهم من رؤس الجبال وهو كما يذكر عنه وتدل آثاره الباقية الى اليوم انه اعظم سد شوهد على وجه الارض وقوله تعالى يشرح لمحمد (ص) قصة شداد ابن عاد (الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد) والمراد بارم هي المدينة العظمى والجنة الدنيا التي مصرها شداد إبن عاد عند سماعه باوصاف الجنة فناهيك عن مصر يشهد الله تعالى فيه انه لم يبن مثله في الدنيا وانت ايها القارى الرشيد تعلم ان الاثر يدل على المؤثر فان الامة التي تستطيع أن تصنع عن يمين مساكنها وعن شمالها حدائق كالجنان وأن تسد سداً وتبني مصراً لم يشاهد لهما شبيه في الدنيا الواسعة جديرة بان تكون سيدة العالم أجمع والمقدمة بالحضارة والمدنية هذه حالتها قبل الاسلام

اما بعده فبخ بخ للفتوحات الأسلامية والجهاد الديني العظيم فقد تداعت العروش وتهافتت الدول إزاء العرش العربي والدولة الاسلامية العظمى

هذا واذا نظرت بعين البصيرة والباصرة والعلم والدراية عن اسباب ترقي الامم العربية وعلل تدهورها لوجدت السبب وترا والعلة واحدة ألا وهو وجود المصلح وعدمه فقد قام امام المصلحين وسيد العرب محمد ص وجمع الشتات ووحد التفرقة فكان السبب الوحيد لأعلاء كلمة الامة العربية فوق سائر الامم والعلة التامة لبسط ملك العرب من الصين الى منتهى حدود الزيزفون وهكذا قامت من بعده خلفاؤه فبنوا كما بنى وصنعوا مثلما قد صنعا . ولما امتزجت بالامة العربية العناصر الاجنبية وغفى رجالها النابهون جدت تلك الفرق الآرية تنخر في جسمها كما تنخر السوس في الخشب وتاكل في جسدها كما تأكل النار الحطب تفرقت تلك القلوب المجتمعة ومزقت هنالك الأراء المتحدة لتنال بذلك اطماعها وتظفر بما صنعت بآمالها مذرأت ان سيف بن حمدان في قرابه وابن ايوب رابض في غابه

فما احوجنا في هذا العصر الذي كاد ان يكون سلطان العرب فيه خبر كان التامة واثراً بعد عين لمصلح يسعى لتوحيد كلمة العرب وجمع شتاتهم عسى ان يعيدوا بانتباههم تاجهم المبتز وسلطانهم المسلوب فقد استنت الفصال حتى القرعى وبلغ الحزام الطبيين . ولعمري كاد ان ينعدم وجود مصلح يكون هكذا لولا ما وهب الله تعالى من جهود المصلح الاعظم والامام المجتهد العربي الصميم مولانا الحجة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء فلقد اوقف نفسه واقلامه مذ نعومة اظفاره حتى اليوم ومازال حفظه الله تعالى ولن يزال يدأب ويجتهد لاصلاح الوضع الراهن والحالة الاجتماعية حسب ما تقتضيه النواميس الشرعية والشرايع الألاهية فان روحه المؤيدة بروح القدس تتحفز منذ الصبا لارشاد قومه العرب وحثهم الى ما فيه سعادتهم الابدية وثقافتهم المنشودة فمن ذلك ماانشده ايام شبابه مستنهضاً عزائم العرب وهم ابناء قحطان عسى ان ينبذوا القشور التي سببت تدهورهم وانحطاطهم وذلك قوله وقد قالها ايام السلطان عبد الحميد

ياعزمات العرب البواسل　　قومي لحل هذه المشاكل

قومي فلا موضع للقعود او　　يسكن غلي هذه المراجل

ان الحميات التي تسعرت　　منكم بتلك الاعصر الاوائل

دكدكتم امس عروش قيصر　　وطاق كسرى وصروح بابل

واليوم اغياركم قد اغتدت　　تغتالكم باسوء الغوائل

ويا بقايا يعرب حسبكم　　من رقدةا الجهل اوالتجاهل

عودوا الاصل عنصر العرب الذي　　كنتم به من اشرف السلائل

انتم فروع دوحة واحدة　　فكيف قطعتم عرى التواصل

ما فرقت اديانكم بينكم　　لكنها سياسة من خاتل

* * *

على الاخاء العربي اجتمعوا　　فيالها اخوة لعاقل

الا مساعير يثورون لها　　بسلة البيض وهز الذابل

ترقص عند الحرب مهما سمعت　　من الحديد سجعة العنادل

ان كان لابد من الموت فمت　　بالعز تحت عثير القساطل

تموت كي تحيى وتحي امة　　اودت بها سخيمة التواكل

تطامنت للذل بعد عزة هزت رواسي الارض بالزلازل

تسلسلت عزاً فكانت امة تقاد للجنة بالسلاسل

واليوم عادت فضلة من بعدما كانت لها سابقة الفضائل

* * *

وقفت في آثار آبائي الاولى اسأل والدمع كنهر سائل

اسألها عن باسق المجد الذي قطوفه دانيـة العثاكل

فكيف اضحى خاملا من بعدما زهى كزهو الروض في الخمائل

اضاءت الشرق مصابيح له واقتبس الغرب من الفتائل

* * *

يادارهم اين بنوك الاولى بنوك بالعلوم والفضائـل

انعاك واثكلي ام انعاهم فالنعي من سجية الثواكل

* * *

دونكموها نفثة من واقف بين رجاء آيس وآمل

نفثة صدر تستطير شررا تطاير النار من الجنادل

وهي قصيدة طويلة اختزلنا منها هذا القدر وله حفظه الله من

أخرى هي من عيون الشعر ومحكماته يقول من جملتها

بني يعرب اين العزائم ان تشأ * تجر الذرى المرفوع امكنها الجر
واين الحفاظ المر يمقر طعمه * ويطعم حتفا في الوغى ذلك المقر

فما زالت ولن تفتأ اقواله وافعاله مشرق نور الحضارة ومهبط وحي العلم مسددة الخطى مؤيدة العزيمة بالرغم من المناوئين الحاسدين والمتشطنين الفارغين ومؤلفاته اوصاف متسلسلة لعلم وفن واسفار تعبر عن عواطف وفكر لاغنى عنها ولا كفاية بدونها فتراه مجاهداً فيها لأيقاض شعبه وقومه محرضهم على اعتناق الآداب والعلوم الجليلة واصلا سياقها بالتقاليد القومية الصحيحة ولقد وقعت عيني على كثير من مؤلفاته القيمة الطائرة الصيت والعنوان فصغر الخبر الخبر والعين الاثر فاذا الينبوع بحراً والعقد درا ولاغرو فقد نمقها يراع امام أيمة اليوم وقائد الدنيا في القرون الاخيرة ثم انه حفظه الله تعالى لما اضطلع باعباء الرئاسة الدينية واتكأ على منصة الحكم والشرع الشريف تراكمت عليه الاشغال وازدحمت على عتبة داره عظماء الرجال فانشغل بابراز الفتاوي والدرس والتدريس واصلاح

ذات البين بين الناس عن مواصلة ارشاداته الغالية ونصائحه الثمينة لتمسك الامة العربية بالرابطة القوميـة والوحدة الجنسية كما وان مشغوليته العظمى هذه لم تكن هي السبب الوحيد لانصرافه عن دعوته للحق بما ينفع الامة العربية فحسب بل حفظه الله راى ان بعض مجهوداته كادت ان تذهب ادراج الرياح حيث اننا معاشر العرب ويااللاسف لم نستضئ بذبالة انوارها ولم نهتد بشعـاع لمعانها بل كانت صرخته فينا وهتافه بنا صرخة في واد ونفخة في رماد هذه رحلته الى فلسطين وخطاباته وخطبه فيها وفي غيرها وسعيه وراء المصلحة العامة قل لي بربك ايها القارئ الكريم والعربي الصميم اي نصيحة منها حفظناها واي وصية عملنا بها ومع هذا كله فقد كنا ونحن جماعة ممن لازموا خدمته والتلمذة عليه وواضبوا على الحضور في مجالسه عند فراغه من الدرس والقضاء بين الناس نغتنم الفرصة وسويعات الراحة فنوجه اليه سؤالا سؤالا عن حالة العرب قبل وحالتها اليوم فكان يزفر ويتبع الزفرة الزفرة والحسرة الحسرة ويقول الحديث شجون فيفيض علينا من مواهبه السـنية العقلية

وفيوضاته العلمية الجوهرية ما يبرد الغلة ويشفي العلة وكنت من بينهم اكتب ما يقرر واحفظ ما يقول كل عنوان بعنوانه وموضوع بموضوعه حتى اصبحت عندي مجموعة نفيسة ورسالة جليلة بل صار كتاب عظيم المنفعة مملوء بالعظات الثمينة والنصائح الغالية حاضاً للامة العربية على التضامن على الوحدة الصحيحة ونبذ القشور الخلابة وهو جدير بان تتخذه الامة العربية مصحف الصباح وقاموس الجيب ويتعاهدوا ويعاهدوا الله على الاخذ والالتزام به ان ارادوا لهم حياة مفيدة وسعادة جديدة لذا اجهدت نفسي وبذلت وسعي لنشر هذه الرسالة الثمينة والصحيفة الحسينية لتقتنيها جميع الشعوب الاسلامية والعناصر العربية فتسير على نورها المزدهر لانها مظهر الحياة العقلية معقل الحياة الاجتماعية منطقية الغرض تنفذ من السمع الى القلب ومن القلب الى الصميم وقد أسميتها الميثاق العربي الوطني وكان قد عرف ذلك بعض اعلام العروبة في المهجر فارسل مقدمة نشرناها في طليعة الميثاق مع مقالة لحجة الحجة عبد الحليم؟

آل الشيخ حسن

عبد الغني الخضري

مقدمة

الفكرة الوطنية العربية

بقلم الاديب البارع عبد الله بري

عبد الله بري من الأدباء اللبنانيين في الولايات المتحدة وهو وان كان قليل الانتاج لأنه لا يأبه للظهور ، لكنه عندما يكتب في بعض المناسبات يجيد ويبدع وهو أيضا من الاشخاص الذين يخدمون أمتهم من وراء ستار بهدوء وروية

الناشر

في مثل هذا اليوم الذي تنبثق فيه الفكرة الوطنية العربية إنبثاقا مضمخا بالكرامة ، ومطيبا بالأيمان وصدق العقيدة ، يقف الباحث إزاء هذه العاطفة القومية يستعرض بمعاني الفكر المرهفة أسباب ذلك الأنبثاق الوطني ، ويستقصي نتائجه إستقصاء حدوث الحادث الذي له علة غائية ألزمت حدوثه ولزوم هذا الحدوث يؤدي حتما إلى

نتيجة ما ، يعرفها علماء التيلولوجك (١) بالعقيدة النهائية ويكون لهذه النتيجة مفعولها وأثرها الاجتماعي في الهيئة والمحيط والقومية وكل شيء ..

فالأسباب التي أخرجت الفكرة الوطنية ثائرة مع العواطف العربية ، جامحة مع النزعات الانترنشيونية العالمية ، تعود إلى أن تقهقر الدولة العربية في الأندلس فتح اعين الاوربيين على البلاد العربية ذات الثروة الطبيعية الوافرة ، والموقع الحربي الهام الذي يضمن طريق الهند لبريطانيا . ويصون داخلية الشواطئ الفرنسية بحماية شواطئ البحر الابيض المتوسط ، فضلا عن عوامل التقويض الهدامة التي جابهتها الامة العربية في دور إنبثاقها و الأدوار التي ترامى على أقدام دولة العباسيين والامويين ، هذه الدولات التي كانت ميدانا للمنازعات الاقليمية ، والمنافسات الجنسية والدينية — بين العرب والفرس وغيرهم — وما الى ذلك من ضروب التخريب والتهديم المدمرة !

« ١ » علم البحث عن الغاية

ويمكننا القول إن العوامل الهائجة الصاخبة التي مرت بالأمة العربية في ماضيها المتهدم ، كانت كافية للقضاء على معنوية هذه الامة اقتصاديا وسياسياً وقومياً وثقافياً وكل شيء ؛ ولقد لوحظ في أسباب إنبثاق الوعي القومي ، ضياع الثقافة ، وتقهقر القومية ، وطغيان السياسة الفاسدة ، وتدهور الحالة الاقتصادية ، الأمر الذي اثار في النفوس كوامن عزة العرب ، وهمة العرب ، فكانت الروح القومية جياشة فى الصدور ، كما كان الشعور بهذه الروح ملتهبا هائجا في الشعب !

وفي عقيدتي إن الدين الاسلامي وان كان مني بمثل مامنيت به الامة العربية ، قد عمل على حفظ المعنوية القومية بعد ضياعها ، وأحتفظ بالثقافة العربية التي تجدها في قوانينه التشريعية وقرآنه المجيد ، وعلومه الرائعة ، بعد أن كادت تقضي عليها الثقافة الفارسية والهندية من جهة ، والثقافة الرومانية واليونانية من جهة أخرى ، أضف الى ذلك ماعانته هذه الثقافة مشقات تحت ظل الفتوحات الاجنبية ، وقاسته من عناء وارهاق تحت ظل الدولة التركية ـ المنقرضة !! ...

نحن الآن في دور انبثاق ترافقه عناصر ثلاثة، الدين ، الزعامة ، السياسة ، وتكاد تكون الصلات المعنوية متمازجة بين هذه المثاليات الثلاثية ، فالدين على صلة من امر السياسة ، والسياسة على صلة من امر الدين ، والزعامة تقف بينهما لتقوم على رأس السياسة حينا ، ورأس الدين حينا آخر ، ولا فرق بين الدين النصراني والدين الاسلامي اليوم في اقرار هذا المبدأ الذي بنيت عليه أعمال الحزبيات والتفرقة الجنسية في بلاد العرب ، وما يلحق بها من شعوب مسوقة لأتباعها بعاطفة الدين لا بعاطفة القومية ! ..

ويعتقد فريق من المشتغلين بالقضية الوطنية أن الدين والسياسة والزعامة ، تقف سدا منيعا بين تقدم وانماء دور الانبثاق الوطني ، وهو إعتقاد له صحته من الوجهة العقلية على ماجاء في العلوم النفسية من أن البيئة الاجتماعية — مدفوعة احيانا لأن تصدق ماترغب تصديقه ، لاما يجب عليها أن تصدقه ، ففي الدين تصوف وجمود ، يربأ بالقومية أن تسمو بالعزة وتسود بالكرامة ، وفي السياسة فساد ونفاق يحول دون تقدم الخلق النبيل الصادق الذي هو من متطلبات

وواجبات دور الانبثاق ، وفي الزعامة امراض اجتماعية ، منها الارستقراطية ، والأمية وعدم الشعور بالكرامة ، تقف دون رقي البيئـة ، ونجاح المحيـط الذي تقوم عليه اوضاع الوطنيـة واهداف الوطن !!

ولو إن يدا اصلاحية تتناول هذه الاقانيم الثلاثة فى جسم الامة بالتهذيب وشحذ العزيمة والرجوع الى الحق ، والعمل بأمر الله ، لكانت إرادة الامة الوطنية فوق كل إرادة استعمارية ، أوحركة أجنبية من شأنها إخذال الوطن بقوميته — وإفجاع العرب بثقافتهم وإقتصادياتهم ومبدئهم الاستقلالي المتزن ....

وقد ادرك مولانا حجـة الاسلام الاكبر صاحب السماحة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ، مايدور في خلد الامة من مفاسد السياسة ، وجمود الزعامة ، وتصوف الدين ، ولذلك رأيناه يجاهد لأحقاق الحق رغم طغيان السياسة ، وإستبداد الزعامة ، وتواني الدين ، ويعمل على أن يخرج حملة الدين — جنود الله على الارض — الدين الاسلامي والنصراني — في البلاد العربية

عن جـودهم وتصوفهم و (هرتقتهم) وهو يرجو من وراء هذا الخروج أن يرجعوا الى مايأمر به دينهم في سبيل الله والوطن ليس غير ، ولقد كان الجهاد عند المسلمين الذي هو لأجل الوطن وفي سبيل الله ، وهكذا شأن النصرانية بما تحتويه من تعاليم سامية ومبادئ نبيلة انما وجدت لأسعاد الانسان الذي هو ظل الله على الارض ، وسعادة الانسان بسعادة وطنه ، ونجاحه بنجاحه ، ولولا الوطن لما كان الدين لأنه هو علة وجوده — على حد التعبير الفلسفي — ولولا الدين لما كان الوطن على اعتبارا نه باعث قوميته الاولى وانه الدعامة الثقافية الاصلاحية التي تقرب الانسان نحو اخيه الانسان ، وهذا هو معنى الوحدة الفردية التي تبنى عليها الوحدة الوطنيه الأجماعية !!

وقد اصدر مولانا الحجة — ادامه الله — فتاو عديدة بشأن فلسطين المعذبة الدامية ، كما وان له مواقف وطنية سامية تجاه قومه العرب ، وهو بعد يصدر هذا الميثاق الوطني العربي وفيه من إنسجام الفكرة وسمو المبادئ مايجعلك تشعر بعظمة الواضع ونبل مقاصده

الاصلاحية ـــ الوطنية منها والدينية ـــ ولا شك إنك تقف بخشوع امام هذه الجهود ، وانت مؤمن بها إيمانك بالله ، ومطمئن اليها إطمئنانك بنفسك . وستعاهد الله ومولانا الحجة على الأخذ والعمل بمنطوق ميثاقه الوطني المقدس لأنه ـــ دام ظله ـــ هو فكرة الدين والوطن التي تنفذ الى أعماق قلوبنا فتملأها يقينا وثباتا وتمسكا بأهدافنا وحقوقنا القومية ، متخذا قوله المأثور شعارا لوطنك وقوميتك ونفسك ـــ (أما السجن في سبيل الوطن فرياضه ، واما النفي لأجل الحق فسياحة ، واما القتل في سبيل العزة القومية فاستشهاد)

في غرة تشرين الاول سنة ١٩٣٩

عبد الله برّي

الوحدة العربية

مثلنا الأعلى وهدفنا الأوحد

﴿ بقلم نجل الحجة الأستاذ عبد الحليم آل كاشف الغطاء ﴾

أصبحنا بعد تلك العزة والمنعة ، والسطوة والرفعة ، وبعد ذلك المجد الباذخ ، والشرف الشامخ ، وبعد أن كنا نشن الحروب ، ونسود الشعوب ، نحاول أن نحمي ذمارنا ، ونصون ديارنا ، فلا نقدر . ولا عجب من ذلك فهذا شأن الأمم يبطرها الشباب ، ويقعدها الهرم. والنهوض بالأمة وهي في هذا الدور دور الانحلال والشيخوخة أصعب من النهوض بأمة هي في دور البداوة والسذاجة حيث لا تزال فتية سليمة لم تنتشر بينها مفاسد الحضارة ، وأمراض المجتمع. ومع ذلك لا يتسرب اليأس الى قلوبنا فبعض الأمم تمكنت أن تعيد قوتها ، وتنظم صفوفها مرة ثانية بعد الانحلال والاضطراب ، كايطاليا والمانيا وتركيا . وتعتبر الأمة العربية الآن في آخر مرحلة

من مراحل الانحلال ، وفي أول دور التنبه ، تنبه يبشر بالنجاح والفلاح ، وبالمستقبل الباسم ، واليوم الموعود ، والأمل المنشود . وقد بدا التحسس ، وتغلغل الشعور القومي ، حتى في الأماكن القاصية ، والأصقاع النائية ، كاليمن وحضرموت وعمان والبحرين.

ينقسم البشر حسب التقسيم العلمي الحديث المعتمد على دليل الرأس وملامح الوجه الى ثلاثة عروق ، وهي مرتبة بالنسبة للرقي : (١) العرق القوقاسي (٢) العرق المغولي (٣) العرق الزنجي . ويتفق الجميع إن العرب من العرق القوقاسي الخالص . وعدا ذلك فان العرب من العناصر التي خدمت العلم والمدنية ، ونشرت المعرفة ، وهذبت النفوس ، فقد أضاف العرب معلومات هامة في إبان حضارتهم الى علم الرياضيات والفلك والجغرافيا والكيمياء والحيوان والزراعة ، وحسنوا صناعة الورق والزجاج والنسيج والدباغة . ثم إن سكان البلاد العربية الآن مؤلفون من سلالات عربية إختلطت مع سلالات أخرى أيضاً شريفة المحتد ، رفيعة الشأن ، تاريخها مجيد ، وعزها تليد ، وأكثرها يمت الى العرب بصلة النسب .

فسكان سوريا مزيج من الفينيقيين والآراميين والكنعانيين واليونان والرومان والعرب ، وسكان العراق مزيج من البابليين والآشوريين والفرس واليونان والعرب ، وسكان مصر مزيج من المصريين واليونان والعرب ، وسكان بلاد المغرب مزيج من الفينيقيين والبربر والرومان والعرب ، وحتى الجزيرة لم تخل من الاختلاط . وهذا لا يضير القضية العربية شيئا مادام الدم العربي هو المتغلب ، واللسان العربي هو الجامع فيما بيننا ، والدين الاسلامي هو الشائع فينا ، بل يجب أن يزيدها أوارا ، ويلهبها حماسا ، ويقوي ايماننا بحقنا المهضوم ، وشرفنا المثلوم ، ويثبت أقدامنا في النضال عن بلادنا المغصوبة ، وأمتنا المحروبة . وجميع الأقليات التي تقطن البلاد العربية يجمعنا وإياها إحدى الروابط الثلاثة المذكورة علاوة على الرابطة الوطنية القديمة ، ولا خطر عليها من الوحدة العربية . ولكن المستعمرين إتخذوا من هذا الاختلاط وسيلة لأيجاد التفرقة بين العرب فنبشوا الدفائن ، وأرثوا الضغائن ، وأوقدوا نار العصبية الطائشة . فالأمة العربية من الناحية العنصرية لها المقدرة على الرقي والتقدم ،

والكفاءة لهضم الثقافة والمعرفة ، والقابلية لخدمة الأنسانية ، وجديرة بالبقاء والخلود .

يلاحظ مما مر إن جميع الشعوب السامية كالبابليين والآشوريين والفينيقيين إندمجوا بالعرب . فقسم منهم أسلم وإندمج بالعرب تماما وقسم بقي على النصرانية وترك لغته كنصارى العراق وسورية ، كما إن بعض القبائل العربية في العراق وسورية بقيت على النصرانية . والشعب الوحيد الذي لم يندمج بالعرب هو الشعب اليهودي . ففي أول الأمر أراد النبي العظيم أن يهديهم إلى طريق الحق ، وتحالف معهم مرارا ، ولكن كانوا في كل مرة ينكثون عهودهم ، ظانين أن النبي سوف يفشل ، وتنجح دسائسهم ، وهذا ماحدا بالنبي والخلفاء الراشدين من بعده أن يخرجوهم من الجزيرة حتى يأمنوا شرهم عند نشوب الحروب مع الأعداء . وبعد أن ظهر الحق ، وهزم الباطل ، ثاب اليهم رشدهم ، وندموا على ماصنعوا ، وأخذوا يسالمون العرب في كل مكان وساندوهم في الفتوح خصوصاً في فتح الأندلس ، وعاملهم العرب بأحسان وعاشوا بسلام .

وبعد الحرب العامة خلق المستعمر الحركة الصهيونية لأغراضه فعاد النزاع بين العرب واليهود . والعصبية العنصرية الشديدة الطاغية على الروح الانسانية في اليهود هي التي بغضتهم إلى شعوب العالم. فطردتهم ألمانيا منذ بضع سنوات وهمت كثير من الدول الاوربية أن تحذو حذوها ، وقويت الحركة الصهيونية ، وصارت القضية اليهودية من المشاكل العالمية . ونعتقد أن الحل الصحيح لها المبني على أساس الانسانية والحقيقة والتاريخ هو أن يفرق اليهود في البلاد العربية باعتبارها موطن الساميين على أن يهجروا لغتهم وتدرس في الجامعات فقط ، وأن يدينوا بالاسلام لأن الدين الاسلامي أكمل من الديانة اليهودية ، واللغة العربية لغة حية دون بها مئات الألوف من الكتب ، ويتكلم بها ملايين من العرب وغيرهم ، واللغة العبرانية لغة ميتة .وأما إدعاء اليهود الأحقية بفلسطين ، فذلك لا يثبت لانه إذا كان اليهود قد سكنوا فلسطين ست مائة عاماً فالعرب سكنوها مدة ألف وثلاث مائة عاماً . وإن إدعوا الأقدمية فالكنعانيون الذين إغتصب اليهود

منهم فلسطين من الشعوب السامية التي إندمجت بالعرب ولا وجود لهم الآن وللعرب الحق في أن يرثوهم . ثم إن العرب لم يغتصبوا فلسطين من اليهود بل إستلموها من الرومان . وكل اقطار العالم الآن تناوبتها أمم . وتداولتها دول والحق للمتصرف بها والمستقرفيها : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) :

تطور الأنسان من الحياة الفردية الوحشيسة إلى الحياة القبليـة المتنقلة . ثم إستقرت القبائل في المواضع الخصبة لأجل الزراعة ، ثم تأسست المدن و كانت كل مدينة مستقلة في شؤونها وحكومتها عن المدن الأخرى ، ثم تشكل من المدن القطر الذي تديره حكومة واحدة . ومنذ القرن التاسع عشر إتجهت البشرية نحو تكوين وحدات كبيرة تضم اقاليم فسيحة متقاربة بالحدود واللغة والعنصر والتقاليد . وتم في خلال هذه المدة الوحدة الأيطالية والألمانية ، واتحاد الولايات المتحدة والدومنيونات الأنكليزية ـ كندا . جنوب افريقيا . استراليا ـ والأتحاد السوفيتي . وما هذه الوحدات إلا مقدمة

لأتجاه البشر نحو السلم العام لأن التفاوت بين الشعوب من أهم أسباب الحرب . فالوحدة العربية قضية إنسانية ، وخطوة جديدة لتقدم البشر ، ودعامة للسلم العالمي ، وصفعة للاستعمار ، وليست قضية قومية فحسب .

بسبب النزاع الداخلي في العصرين الأموي والعباسي ، والترف والتصوف ودسائس الشعوبيين في العصر العباسي تمزقت الامة العربية الى شيع مختلفة ، ونحل متباينة ، وتفككت الروابط بين أبنائها وتفسخت أخلاقها المتينة ، واستمر التأخر والانحطاط مدة سنين عديدة ، وقرون مديدة . وبتأثير تلك العوامل المارة الذكر ونتيجة لسيئات الماضي أصبحنا نعاني الجهل والفقر والمرض ، وتعمنا العادات الضارة وروح الاقلمية والطائفية ، ويعوزنا التعاون والتضحية والتدريب العسكري ، وينقص بلادنا العمران والصناعة والمواصلات المنظمة . ويحاول المستعمر بكل جهده أن يبقي على هذه النواقص ، ويضع العثرات والعراقيل في طريقنا ، لذلك لانستطيع أن نكمل نواقصنا ونصلح مفاسدنا مالم نلم شعثنا ،

ونوحد بلادنا ، ونرفع مستوانا السياسي ، ونحصل على كيان مستقل شامل ، ونبرهن على كفاءتنا ، ونرد كيد العدو الى نحره . وإذا أردنا أن ندع الزمن ليشفينامن أمراضنا ، فقد يتغلب المرض ويستعصي الداء ، وقد تهب عاصفة شديدة تقصف عودنا قبل أن يتصلب ، وقبل أن ترسخ جذوره في الارض . وأول واجب يتحتم علينا الآن هو إعداد الرأي العام في الأقطار العربية لقبول الاصلاح المطلوب ، وتحقيق الغاية السامية ، والنهوض بأعباء الحركة المباركة فيجب أن نسعى جهدنا بواسطة الصحف والمؤلفات والمدارس والدعاة لأحياء الاخلاق العربية القديمة ، والرجوع لتعاليم الاسلام الأولى والقضاء على العصبية الأقليمية والطائفية اللتان تتنافيان والشريعة الاسلامية تماما بل هما اللتان قضتا على الامة الاسلامية والعربية فقال الله تعالى . وإعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وقال : لاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . وقال : انما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم . وقال النبي ص : يدالله مع الجماعة وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية . وقال : المؤمن للمؤمن كالبنيان

المرصوص يشد بعضه بعضا . وقال المؤمن أخو المؤمن لايخذله ولا يغتا به ولا يحسده ولا يبغي عليه . فالقرءان والاحاديث لم تفرق بين طائفه وأخرى وإنما هذه التفرقات بدع وضلال منا . والاختلاف في وجهة النظر لا يوجب العداوة والبغضاء ، ولا ينبغي أن نضيع الأصل في سبيل الفرع . ولي الرجاء الاكيد إن هذا الميثاق الصادر عن قلب مفعم بالايمان ، وشيخ فهم الدين وعرك الدنيا أن يترك أثره في النفوس ويساعد على تقريب الصفوف ، وتأليف القلوب ، وإحياء الفضائل ونبذ الرذائل .

لايخفى إن كل حركة قومية ، أو دعوة جديدة لاتنجح إذا لم يوجد هناك ثروة تدعمها ، وقوة تؤيدها ، وحكومة تساندها . والعراق الآن هو محط آمال العرب ، ومطمح أنظارهم ، والأمل وطيد إنه سوف لايقصر في جهاده ، ولايني عن كفاحه ، ويؤدي واجب الرسالة . فلاحياة للأمة العربية إلا بحياة العراق الباسل ولكن لاحياة للعراق إلا بضم سوريا اليه ، فان العراق لا يتمكن أن يحفظ إستقلاله ويصون حدوده ، ويحمي تجارته إلا بضم سوريا اليه

في جميع الأدوار التي كان العراق فيها عزيز الجانب ، رفيع المقام نلاحظ أن سوريا تتبعه كما في عهد حمورابي وسنحاريب ونبوخذنصر وهارون الرشيد ولا تنفك عنه إلا في دور ضعفه وخموله . والعراق وسوريا جزءان الواحـد منهما يكمل الآخر ، والعلاقات النسبية والسياسية والثقافية والاقتصادية بينهما قديمة العهد ترجع إلى قبل أربعة آلاف سنة وضم سوريا للعراق أول خطوة لتحقيق امنيتنا الغالية . وأيضاً لا تقل أهمية مصر وأهليتها عن العراق في هذا المضمار فهي حاملة لواء الأدب والثقافة . ويقع على عاتقها نهضة افريقيا العربية وتحريرها . وقد بث الأجنبي فيها مدة من الزمن النزعة الفرعونية ولكنها فشلت في الأخير وتغلبت الروح العربية .

أما موقفنا من الوضع الحاضر فهو واضح وصريح أنه مع الحلفاء لأنه ليس من النبالة والوفاء ومن المضر لسمعة العرب ومستقبلهم أن ننتقض في هذا الظرف العصيب وان كان الحلفاء لم يحسنوا إلى العرب ولم يفوا بعهودهم كلها ولكن الواجب والمصلحة لنا يقتضيان أن نركن للهدؤ ونصبر للملمات ، ونعتني بأصلاح أوضاعنا الداخلية أثناء الحرب ، ونتأهب

للنهضة العظمى ، و نتحفز للوثبة الكبرى فيما بعد الحرب . إن هذه الحرب سوف تكون من الحروب الحاسمة في التاريخ وكذلك يجب أن نجعلها حاسمة لمصيرنا ، فبعد خمود نار الحرب مباشرة يجب أن نهب كالعاصفة ، و نغضب كالأسود ، و نصرخ في وجه الظلم ، و نقوم قيام رجل واحد فأما نحيا أعزاء أو نموت كراماً . إن المنتصر أيا كان سوف يخرج من هذه الحرب منهوك القوى ، خائر العزيمة ، فاذا أبدينا صلابة وثباتاً وتكتلا لا بد أنه يرتد خائباً ، ويخضع للأمر الواقع أو ينزل عند رغائبنا ومطالبنا . أما من يقول إننا ضعفاء ولا نستطيع المقاومة فتلك حجة لا يجيء اليها اللئام ، والضعيف مع الايمان والاتحاد قوي عزيز .

والخلاصة أنه بعد أن تفككت الجامعة الاسلامية المقدسة التي سعى الغربيون لاماتتها والقضاء عليها وأصبح من الصعب إحياؤها لا بد لنا أن نعمل كعرب للدفاع عن كياننا المهدد . والاسلام لم يأمرنا أن ننسى عروبتنا ، ولم ينه عن القومية المعتدلة ، قال الله تعالى يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . وما دامت حركتنا لا تسيء

إلى إخواننا المسلمين فهي لا تتنافى وروح الشريعة الاسلامية كما يتوهم البعض . ثم إن الله تعالى قد جعل عبء الرسالة الاسلامية على عاتق الأمة العربية التي نشرت هذه الرسالة في أكثر أنحاء العالم ، فاذا كانت الأمة العربية ذات حول وقوة ، وذات كرامة محفوظة فالأسلام مرفوع اللواء، شامخ البنيان وله قيمته وأثره في العالم . ولذا يجب على الأقطار العربية أن تتحد سوية ضد الخطر الأجنبي لتعود لها كرامتها واستقلالها وتحتل موقعاً رهيباً إزاء الأمم ، وتبلغ هذا المجتمع المادي الغاشم رسالتها الروحية والأخلاقية كما بلغت سابقاً . ولله الامر من قبل ومن بعد .

عبد الحليم
آل كاشف الغطاء

نص الميثاق

من كلمات سماحة الحجة

مع فاتحته

بسم الله الرحمن الرحيم

العرب بالأمس والعرب اليوم

لا اريد أن أكون متشائماً الى حد بعيد في حال هذه الأمة ومئالها وإن كان النظر الحصيف بل الطفيف في حالة العرب الاجتماعية ، وسير قضيتها اليوم ، يوجب اليأس من نجاحها غداً ، فان السائر على غير الطريق لا يزيده كثرة السير الا بعداً . ولا لوم على مثلي لو تشاءم ، واستولى عليه اليأس والقنوط بعد تلك الخطب الفياضة الملتهبة التي ألقيتها على الجماهير المكتضة في عواصم الاسلام كالقدس وبيروت ودمشق وجامع البصرة ومسجد الكوفة وبغداد والتي طبع غير واحد منها كخطبة القدس التاريخية وخطبة الاتحاد والاقتصاد والخطب الاربع وغير ذلك .

ألقينا كل هذه وأضعافها شعلة ملتهبة في حث المسلمين والعرب على الوحدة والاخلاص وما يلزم عليهم لجمع شتاتهم ، واستعادة

مجدهم وقلنا كلمتنا المشهورة : ان الاسـلام يرتكز على دعامتين . كلمة التوحيد. وتوحيد الكلمة. وذكرنا كيف ينبغي أن يتحد المسلمون في مقدمة رسالتنا (أصل الشيعة) . ولكن كل ذلك ذهب مع الريح ، فكأن الحوار كان مع جدار ، اوكأنما كنا نخطب على أصنام وأحجار والافأين الآثار . نعم يحق لنا أن نتشاءم ولكن لانريد أن نعرض لهذه الناحية فنتفاءل أو نتشاءم ونكون من الراجين أو القانطين . كلا . لانريد أن نكشف الستار عن هذه الشئون وكلها شجون ، وانما نريد أن نذكر أمام الغرض الذي نحن بصدده أن نشير الى لمحة من حال العرب بالأمس وحالهم اليوم ، وكيف حالت الأحوال ،وتغيرت الطباع ، وإنقلبت الحقائق وإنعكست الآية رأساً على عقب .

أرأيت المزايا التي إختصت العرب بها قبل الاسلام ؟ وكانوا كأنهم خلقوا من تلك السجايا أو خلقت لهم ، وكان من أظهرها وأشهرها الاباء وعزة النفس والشهامة والشمم وإستطابة طعم المنية دون الدنية وخوض الغمار دون الخضوع للاغيار . ثم لما جاء الاسلام

وكأنه ماجاء الا لمزيد تلك السجايا رسوخا وقوة وشموخا ورفعة ، وكأنه بعثهم بعثاً جديداً فيما كان لهم من الجود والشجاعة والصدق والاخلاص والاباء والوفاء وحفظ الذمار ، ورعاية الجوار ، والصراحة والصلابة ، وشناءة النعيم والترف ، والتجافي عن الحضارة والرغد ، وهما توأم الذل والمهانة ، والاستعباد والاستكانة . ولكن النفحة القدسية التي جاء بها من أعماق الغيب وكانت كل عنايته لها وأوجدها بل أبدعها إبداعاً وأنشأها إختراعاً ، وجعلها مرتكزاً لدعائم دعوته ، وإجنحة نهضته بأمته ، هي الوحدة ، ونظام الوحدة ، وإتجاه الوحدة . كانت العرب أوزاعاً متفرقة فوحدها ، وكانت لاتعرف نظاماً فنظمها ، وكانت لاوجهة لها الى غاية فعين هدفها ، ونصب لها منارها . وفوق ذلك نفخ فيها روح التضحية والمفادات والاستهانة بالحياة في سبيل العز والكرامة ، كانت تحيا بأجسامها فصيرها تحيا بعقولها وكانت تعيش في دنياها ، فصارت تعيش بأوسع من هده الدنيا من أحلامها وطموحها ، وكان النجاح والفوز والظفر حليفها والفتوح معها وأمامها مابقيت سائرة على ذلك المنار ،

مترسمة ذلك الشعار .

كان في العرب من يؤثر بحصته من الماء فيموت عطشاً لسلامة أخيه . وتعقبه مجاهدوا العرب في الاسلام بأكثر من ذلك حيث دارت شربة الماء بين جماعة من الجرحى في حومة الوغى كل واحد يؤثر بها أخاه الصريع الى جنبه حتى قضوا كلهم على الظمأ . أما اليوم فالعربي يقتل أخاه على شربة ماء بل على مادونها من توافه الأشياء. كان في العرب من يفي بوعده ولو على ضرب رقبته كما في قصة الأعرابي وشريك الطائي عند النعمان . و كان فيهم من يحافظ على أمانته ولا يحمل نفسه على الغدر ولو بقتل ولده كما في قصة أدراع الكندي التي يشير اليها الأعشى بقوله من قصيدة :

فقال غدر وثكل أنت بينهما فاختر وما فيهما حظ لمختار

فخار غير قليـل ثم قال له اقتل أسيرك إني مانع جاري

إستولى المجاهدون من المسلمين على خزائن كسرى و كان مما غنموه تاجه وأساوره ومناطقه ، وطوسه و كؤوسه وما الى ذلك من خصائصه وصناياه و كلها من الذهب غارقة بما تعرق من الأحجار

الثمينة واليواقيت التي يخطف الأبصار لمعانها ، وتستوعب خزائن الدنيا أثمانها ، فحملوها من المدائن الى المدينة دون أن يغل او يرزء شيء منه حتى وضعوه بين يدي الخليفة بفصه ونصه فأدهشته أمانتهم أكثر مما ادهشته غنيمتهم وقال ان أمة تؤتمن على مثل هذا فتؤديه لحرية بأن تسود الأمم . وهكذا كان .

دخل حاجب بن زرارة على كسرى فضمن له أن يجير لطيمته على العرب فطلب منه وثيقة على ذلك فرهنه قوسه فقبلها وقال ما كان ليسلمها . توفى له واستعادها ولده . ودخلت أم عقبة الأعرابية على بعض أمراء المسلمين ومعها ولدها فطلبت أن يصرفه في بعض اعماله ، فدفعه الى بعض عماله ، فجعله في دائرة الأستخبار فعادت إليه بعد أيام وقالت له : أيها الأمير. الجوع الكريم خير من الشبع اللئيم . فقال لها وما ذاك قالت إن عاملك وكله بالنميمة يحصيها على المسترسل ويهتك بها المتستر وقد تحاماه الناس وتناذروه فاذا لم يكن غير هذا تركته ولم أتعرض لما فيه مقت الله والناس . فأبت أن يكون إبنها جاسوساً أو شبه جاسوس .

نعم ولم تكن بواعث تلك الحرب الشعواء بين العرب والفرس بذي قار إلا الوفاء ، وعزة النفس والاباء والمحافظة على الصدق والامانة . فان كسرى لما أراد قتل النعمان أودع النعمان ودائعه عند مسعود بن هاني الشيباني فطلبها كسرى منه بعد قتل النعمان فأبى أن يدفعها له فساق اليه جيشه المجر فاصطلمه العرب ذلك الاصطلام الذي أشار اليه القائل

يا إبن الذين سمى كسرى لذلهم فسودوا وجهه قارا بذي قار

بل في الحقيقة ماقتل ملك الفرس ملك العرب النعمان ملك الحيرة الالانه أبى وأنف أن يزوجه بنته فأسلم نفسه وملكه للمنية ، دون هذه الفعلة التي وجدها دنية . أبى أصغر ملوك العرب أن يصاهر أكبر ملوك الفرس . فتأمل . ولو حاولت أن أحصي أمثال هذه الشذرات لتهيألي من ذلك أكبر موسوعة ولكني في غنى عن ذلك بما يعرفه كل من له إلمام بتاريخ العرب وأحوالها ، ومزايا نسائها ورجالها .

نعم اريد أن اقول هذه غرائز جمهرة العرب وظواهر طباعها ، والأعم الأغلب من خلائقها ، وما كان على خلافه فهو من النادر

والنادر لا حكم له . أما اليوم فلا أدري هل بقي عند العرب شيء من ذلك ؟ نعم أنا لا أدري . وبودي . أن أكون لا أدري . ولكن فليحاسب كل عربي نفسه ، وينظر هل عنده شيء من تلك الخصال فهو أعرف بنفسه (والانسان على نفسه بصيرة)

اين الوفاء اين الاباء ، أين الصدق اين الصفاء ، أين الامانة أين الحصانة ، أين التضحية أين المفاداة ، أين الايثار أين المواساة. لا يكاد يرتاب ناظر في حال هذه الامة اليوم وأحوالها بالامس أن الاخلاق قد أصبحت على الضد مما كانت عليه أسلافها بل لا لوم على من يقول : انه مامن أمة على هذه البسيطة تبعثرت هذا التبعثر ، وتقطعت أوصالها هذا التقطع وأصيبت مع الكثرة بالقلة وامتهنت بعد تلك العزة بالذلة .فلا تجد قطرا من أقطارها الواسعة إلا وهي ضيقة بالاستعباد ، ولا طبقة من طبقاتها المجتمعة الا وهي متضاربة الافراد (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى) ضعفاء وبأسهم بينهم شديد ، وأحرارهم عبيد ،

أمة حرة وها هم عبيد * إن ذل الاطماع ذل شديد

كل واحد منا يتغنى بمجد العروبة ويتظاهر بالقومية

ويتفاخر بالوطنية والله يعلم ما تلقى العروبة والوطنية من أعماله (إسمع تفرح . وانظر تحزن) . بمن وبماذا تسعد هذه الأمـة وتملك أمرها وتنزع نير الأستعباد من أعناقها ؟ هذا التذبذب والتفككـك ،والخلاعة والتهتك ، هذه النفوس الصغيرة والاطماع الكبيرة ، والهمم الساقطة والأهواء السافلة ـ بخدمة الأجانب وخيانة الله والوطن ، هذا الشباب المستهتر المستطير على عوادي شهواته وبوادر نزواته ، الراكض وراء الهوى والعواطف ،الناهض واكن الى السفاسف والزخارف ، أبهذا وأمثاله نريد أن نبلغ المجـد ونصعد الى المعالي ،ونسترد ماأضعناه من تراث الآباء والأجداد .

نعم لاأريد أن أفيض في هذا الموضوع ، وأستوفي هذ الشأن ، وأرفع الستار عن هذا المسرح ، وأصف الوضع الأخلاقي الذي بلغت اليه هذه الأمة من رجال ونساء وشيب وشباب . لااريـد وصف ذلك حذار أن تذوب المهارق في كفي خجلا ، ويلتهب القلم بين أناملي غيرة وأسفا . ولكني أعود فأقول إني لما رأيت أننا

(معشر العرب) امة لاتجدي فيهم نصيحة ولا ينتفعون بعظة ولا عبرة ، بل ولا يحسون بما هم فيه من الأسقام المهلكة ، والعلل القاتلة والجروح الدامية (ماالجرح بميت إيلام) . لما تحقق ذلك عندي بأبلغ معانيه ، كنت قد صممت العزيمة على أن لا أتطرق بعد هـذه المواضيع بقلم ولا لسان ، ولا ألفظ فيها أبداً بنت شفة ، وصرت أرى أن الكلام في قضية (وحـدة العرب) أو وحدة المسلمين مهزلة من المهازل وخرافة من الحديث كقصة السندي باد وأبي زيد الهلالي وأمثالها . لكن أومضت لي بارقة من الدنيا الجديدة دنيا الشعور الحي والوجدان الحر والضمائر النيرة ، والعروبة الصريحة والأدب البارع . وكم لله جل شأنه من كنوز في عباده ، وعمال مخلصين في أرضه (ولله أوس آخرون وخزرج) وكان بعض من الينا مثلكم من اولي البصاير الثاقبة ممن يشتغلون للقضية العربية يتطلب منا ويلح علينا بوضع ميثاق نملي عليه فيه بعض الفرائد النافعة يكون كميثاق وطني يترسمه من يريد الخير لأمته ، ويخلص في العمل لبلاده وينهج عليه الصميم في عروبته والصادق في قوميته ، فعسى أن

يتيح الله لهذه الأمة في آخرها ما أتاح لها في أولها ـ رجال صدق وعمال حق ، فتعد عدتها وتسترد مكانتها ، وتعيد لها رسالتها يوم كان قائلها يقول .

ملأنا البر حتى ضاق عنا * وماء البحر نملؤه سفينا

وزاد الآخر فقال

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا * وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا

يوم كان الملك او الخليفة منهم يقول للسحابة : أمطري أين شئت فسيأتيني خراجك. ذاك يوم كان كل واحد منهم يعتز بنفسه ، ويرتكز على وجدانه وحسه ، ويتكل على عمله وجده لا على مساعي أبيه وجده فيقول انا وإن كرمت أوائلنا (البيتين) ويزيد الآخر فيقول : واني وان كنت ابن سيد عامر (الأبيات) . ثم ان لله جل شأنه مواثيق أخذها على عباده ، وأشار اليها في كتابه ، وأبرد بها أنبياءه ورسله الى خلقه فقال جل وعلى : واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به . وقال : ألم يأخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق . وقال

عز شانه : وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم . وقال : وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً . وقال عز من قائل : الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض اولئك هم الخاسرون . والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين .

وحيث انه تعالى أخذ الميثاق على أهل العلم بالبيان وعدم الكتمان بقوله وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً فبئس ما يشترون. وعلى كل إنسان حقان بل ميثاقان ـ صغيرهما كبير ، وكبيرهما عظيم حق لنفسه وحق لأمته ـ حق أن يتعلم وحق أن يعلم وكل منهما قائم بالآخر ومرتبط به إرتباط العلة بمعلولها والسبب بمسببه . إذاً. ومع الطلب الملح والرغبة الثائرة هل ينفسح العذر لنا أن لا نقول شيئاً ولا نملي على الطالبين اصولا عسى أن تكون غروسا تصادف

أرضاً خصبة وتربة طيبة فتنبت باذن ربها نباتاً حسناً وتجني الأمة منها ثمراً طيباً . ولعل هذه العهود والبنود هي الميثاق الذي أخذه الله تعالى على عباده والذي هو خلاصة المذاهب وعصارة الأديان الذي تتلقاه بالقبول كل ذوي العقول .



الميثاق الأول

أول ميثاق أخذه الباري جل شأنه على عباده أن يعرفوا انهم مخلوقون ولهم خالق ، ومصنوعون ولهم صانع ، وأنه مدبر حكيم . لم يخلقهم عبثاً ، ولم يتركهم سدى ، ولم يدعهم كالبهائم يسرحون ويمرحون ، ويأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام بل خلقهم لغاية سامية ،وحكمة عالية (أفحسبتم انما خلقناكم عبثاوانكم اليناالاترجعون) وانه تعالى خلق جميعما في الأرض لحاجة البشر ولتكميله وانتفاعه (وخلق لكم ما في الأرض جميعاً) . وإذا أردت أن تقرأ من كتابه التكويني مافيه من روائع الفطرة ، وبدائع القدرة ، كي يدلك على ذلك فارفع طرفك الى السماء في الليلة الصاحية الظلماء وأمعن النظر في تلك الكلمات المسطورة ، واللآلئ المنثورة ، في الفضاء الغير المتناهي. ثم ارجع الفكرة الى جثمانك وأنظر ما أودع فيه من عجيب التركيب ، وباهر الصنعة وعظيم القدرة ، هنالك يأتي على ذكرك

ما جاء في كتابه التدويني المعجز (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم . أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) .

الميثاق الثاني

أن يعرفوا أن منه البداية ، واليه النهاية ، وهو المبدأ والغاية ، وأن الغرض من إيجادهم هو أن يوجد من هذه البذرة البشرية إنساناً ملكياً ، وبشراً روحياً يقوم بخلافة الله في أرضه ، لتعمير بلاده ، وإصلاح عباده ، فيتأهـل بذلك للحوق بمصاف المقربين منـه ، والفائزين بلذة النظر اليه . أما الجنة والنار ، والثواب والعقاب ، والميزان والحساب ، والصراط والكتاب فكلها طرق ووسائل ومعابر وقناطر . فقد يقف البعض في واحد منها وقد يتجاوزها آخرون على اختلاف مراتبهم الى ذلك المقام الأسنى ، والشأو الرفيع (ورضوان من الله اكبر) . يعرف ذاك من ذاق من شجر المحبة ولو حبة ، وشرب من هاتيك الترعة ولو جرعة .

* * *

الميثاق الثالث

أن يعرفوا أن بلوغهم الى الغاية المعدة لهم والغرض الذي خلقوا من أجله لايكون إلا بسيرهم على مناهج مخصوصة ، وأخذهم بتعاليم معينة ، وأنه مارفع السماء ووضع الأرض إلا على نسبة وميزان،وكل شيء عنده بمقدار (رفع السماء ووضع الميزان . والارض وضعها للأنام) . وانه لابد للانسان من السعي ولا بد في السعي من إقامة الوزن وحفظ النسب وإلا بطل السعي وعقمت الأعمال عن الانتاج (والسائر على غير الطريق لا يزيده كثرة السير الا بعدا) . (واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) ولولا الحيثيات لبطلت الحكمة .

الميثاق الرابع

لما كان إقامة الوزن ، وضبط مقادير النسب والاضافات من

أدق المشكلات ، وأغمض المعضلات وهي من الأسرار المقنعة بحجب الخفاء ، فرب عمل يكون حسنا في وقت وقبيحا في آخر وراجحا من إنسان ومرجوحا من آخر . وهكذا . وليست مفاتيح تلك الخزائن ومصابيح تلك الظلمات على قيود حددها ، وحدود قيودها إلا عند مبدع الأكوان وواضع تلك النسب . إذاً . لا محيص من سفراء بينه وبين البشر يستودعهم تلك الحدود ، ويستأمنهم على تلك العهود ، يقومون بوظيفة التبليغ على نسب مخصوصة ، ومقادير معلومة في أوقات مختلفة ، ومصالح مؤتلفة ، يستعدون بها للوصول الى الغاية (وكل ميسر لما خلق له) . ومن ذلك أخذ على عباده الميثاق بالأيمان بهم والأذعان لهم والأخذ بتعاليمهم بعد قيام الحجة على صدقهم ، وشهادة البرهان على سفارتهم ، كما أخذ على تلك الفئة من السفراء بالبيان وعدم الكتمان إتماما للحجة وقطعا للمعاذير (ليميز الله الخبيث من الطيب ، ويهلك من هلك عن بينة ، وتكون لله الحجة البالغة) .

* * *

الميثاق الخامس

لما كانت خلافة الله في ارضه وعمارة البلاد ، وسعادة العباد ، وحل الرموز ، وإستخراج الكنوز ، من طبائع الأكوان ، وشرايع الوجود تستحيل على الفرد ، وتمتنع على الواحد ، كان من اهم المواثيق التي أخذها الصانع الحكيم على خليقته ميثاق التعاون والتضامن وأن يكون الكل هو الفرد والفرد هو الكل فيتم بذلك نظام الهيئة الاجتماعية ، وينال الأنسان سعادته بأفراده ومجموعه ، وتحظى وحداته بالخير من توحيد كثراته . أما إذا التمس كل واحد سعادته من طريق وحدته ، ولصالحه بنفسه لا بصالح جماعته ، فقد شقي الفرد وهلك المجموع . ومنه قولهم (الأنسان مدني بالطبع) . اي لا يستطيع أن يعيش انسانا لنفسه إلا بالتعاون مع أبناء جنسه ، فهو مدين للمدنية وحياته رهينة بها وهذا أحد الفوارق بين الأنسان والحيوان . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت أركان

المدنية ولعاد الانسان وحشاً من الوحوش كما كان . ودفع الناس بعضهم ببعض هو نفع بعضهم لبعض وتعاون المجموع لصالح الجميع . فهذا الدفع نفع ، وذاك الوضع رفع .

الميثاق السادس

إن هذا التعاون الذي هو من أهم المواثيق وألزم العهود في عمارة الأرض وإنارة الحياة وإسعاد البشر . نعم إن هذا التعاون لا إنتاج فيه ولا ثمرة إلا بحفظ التوازن ورعاية النسب والعلاقات والروابط وتنتظم اصولها في أربعة أسناخ : إثنان ذاتيان حقيقيان وآخران عرضيان إعتباريان : (١) الرابطة الانسانية وهي جامعة الأصل والجنس . (٢) الرابطة اللسانية وهي جامعة اللغة والحس . (٣) الرابطة الدينية وهي جامعة المبدأ والعقيدة . (٤) الرابطة الوطنية وهي جامعة التربية والاقليم . وقد أخذ الله ميثاقه وعهده عليك أن تخدم بالتعاون وطنك ، ثم دينك ، ثم لغتك وأبناء لغتك ، ثم عامة أبناء جنسك ، فتكون عضواً عاملاً حياً في هيكل المجتمع الانساني .

اخدم أيها الانسان إنسانيتك ، ثم لغتك وقومك ، ثم دينك وعقيدتك ، ثم بلادك ووطنك . على النهج الأول فصاعداً او على الثاني فنازلا .

الميثاق السابع

أن التعاون الصحيح الموصل الى الغرض والغاية والذي يعمر به الإنسان حياته الدنيا ، ويعرج به الى الملأ الأعلى في حياته الأخرى - لا يرسخ ويشمخ ، ولا ينمو ويسمو ، حتى يرتكز على دعائم الفضيلة ، والأخلاق الأصيلة ، والسجايا الحرة والمزايا النبيلة . وهي وإن كانت كثيرة ولكن أصولها وامهاتها أربع (أولها) واعظمها الاخلاص . و (ثانيها) رديفه الصدق . و (ثالثها) عماده الاستقامة والاعتدال . و (رابعها) جوهره وروحه الثبات والأستدامة . (الاستقامة ثم الاستدامة) . وهذه المزايا العالية يستلزم بعضها بعضاً ويأخذ بعضها بعنق الآخر فاذا أخلصت ايها الانسان لدينك ووطنك وقومك وأبناء جنسك . وصدقت واعتدلت وثبت

على الصدق والاخلاص في التعاون والخدمة لتلك النواميس المقدسة فقد سعدت وسعدت بك أمتك وبلادك ، وكنت ممن حاز خلافة الله في أرضه . نعم سعدت في دنياك وكنت في حياتك الأخرى أسعد وأمجد ، وحشرك الله مع الصديقين والشهداء والصالحين (وحسن اولئك رفيقاً) .

(ايها العربي)

تلك الأصول السبعة هي المواثيق اوأصول المواثيق التي أخذ الله على الأنبياء والرسل أن يبلغوها عباده وأخذ على العباد أن يعملوا بها ويعلموها لمن بعدهم . وكانت الأمة العربية بفضل بزوغ شمس الاسلام فيهم ومنهم قد أخذت هذه المواثيق بحقها وتحققت بجوهر حقايقها فارتقوا بأقل من قرن ذلك الرقي الباهر . نعم أخذ أسلافنا بجوهر تلك العهود والبنود وصميم حقايقها وأخذنا بالأشباح والظلال ، لا بل بالقيل والقال ، والوهم والخيال ، فبلغنا من

السـقوط في الحضيض الى النقطة المقابلة لمـا بلغوه من الأوج في الرفعـة .

أتدري ايها العربي لماذا ارتقى اولئك وسقط هؤلاء؟ أتدري ما السبب الذي صعد به آباؤنا ونحن هبطنا؟ لا شك ان لهذا الأمر الهائل أسبابا كثيرة ، ولكنها تعود الى سبب واحد طبيعي يترتب عليه هذا الهبوط وتلك الرفعة قهرا . ونحن نذكره لك جملة ثم نتعقبه ببعض تلك الأسباب تفصيلا بأيجاز حسبما يسنح لنا من آونة الفراغ وتسمح به الفرص .

أما جذر تلك الأسباب وأصلها الذي ترجع اليه فهو أن الأسلام قد صهر اولئك الرجال في بوتقة التصفية والتهذيب حتى صارت أجسامهم أروا حا فخفوا فارتقوا ، ولطفوا فصعدوا (وكذا الجسوم تخف بالأرواح) . ونحن صيرنا أرواحنا أجساما ، فلا جرم أن اولئك نهضوا وارتفعوا ، وهؤلاء سقطوا ووقعوا . تمحض اولئك شهامة ونبلا ، وفضلا وعقلا ، وتمحضنا شهوة وجهلا ، ونذالة وذلا .

وها أنا ذا أقـص عليك تفصيل تلك الأسباب بايجاز حتى اذا

أردت أن تصدق في عروبتك وتسجل للملأ بأعمالك أنك سلالة اولئك الأماجد . وأنك من افنان تلك الدوحة ، ونقش تلك اللوحة ، وأنك بحق من أبناء اولئك الآباء ، وخلف ذلك السلف ، أخذت بمزاياهم وتخلقت بسجاياهم ، وحق لك حينئذ أن تكون وارث مجدهم ، والبقية من بعدهم . وإلا . فأولى لك ثم أولى أن تقبع في خمارك ، وتستتر على عوارك ، ولا تقل اني من اولئك القوم ولا تتحدث بمجد العرب والعروبة ، فانها حينئذ خلاعة وأكذوبة . واستحضر قول الحق جل شأنه : فقال رب إن ابني من أهلي... قال يانوح إنه عمل غير صالح .... إني أعظك أن تكون من الجاهلين . وقوله تعالى عن نبيه إبراهيم : فمن تبعني فانه مني . أتريد ايها العربي أن أدلك على الأخلاق التي تخلقت بها العرب فارتقوا ذلك الرقي الباهر ، وأدركت الدنيا بهم وبعدهم ذلك العصر الزاهر ؟ أتريد أن أدلك عليها وأضعها قبضة يدك ونصب عينك ولمس أناملك حتى تعرف هل أنت نعم الخلف أو بئس الخلف عنهم . نعم أدلك عليها فتكون حينئذ لامحالة بين أمرين ، أما أن تعمل كعملهم ،

او تسكت ولا تمطق بمحامدهم فتكون مهزلة واضحوكة لعقلاء الأمم ، على أني لا أملي عليك الّا قليلا من كثير وجرعة من غدير .

(ايها العربي)

لا تكذب . وهذا اولها وأقلها . بل أعظمها وأجلها . لا تكذب . لا لأنه تعالى تهدد الكاذبين وتوعدهم وجعل الخزي واللعنة عليهم ، وينادي فرقانه المجيد مرارا وتكرارا : ألا لعنة الله على الكاذبين ، لا لهذا وإن كان عذابه عظيما ، ونكاله اليما ، ولكن لأن الكذب ينافي الرجولة ، وهو خسة ودناءة ، وسقوط وسفالة ، ولذا تأبى الكذب شيمة العرب الأحرار ، بل يجدونه ويعدونه من أقبح العار .

ولا تحسب أن الكذب يختص بالأقوال ، بل يجري حتى في الأفعال ، بل هو فيها أقبح وأفضح . الغش كذب . والخديعة كذب . والخيانة كذب . أما الرياء والنفاق والملق فهي من أسوء انواع الكذب وقعا ، وأضرها في المجتمع أثرا . وكل ماخالفت به

الحقيقة ، وحوّرت به الواقع ، وتحايدت عن صوب الصواب ، وأظهرت خلاف ماتبطن فهو من أخس مراتب الكذب وأتعس مساقط الرذائل ، ومهابط الدنايا . .

إن آبائك العرب الأقحاح ما كذبوا قولا ولا غدروا عهدا ، ولاخانوا أمانة ، ولا غشوا منتصحا . وهكذا يكون الأحرار والطامحون الى المعالي ، والذين يريدون أن يقوموا بخلافة الله تعالى في أرضه ، وإقامة العدل والقسط في خلقه . ولا تمسح لنفسك العذر في الكذب بما تسمعه من قولهم ان الكذب للمصلحة جايز . فان ذاك في مورد دفع ظالم أو نجاة مؤمن من هالكة او مصلحة عامة لا الكذب لاستيفاء حظ من حظوظ النفس من جاب مال ، أو تزلف الى ذي جاه او ادعاء في كبرياء وإثبات كمال فانه إثم مضاعف وكذب مؤكد . وكان بعض أكابر العرب يقول : لئن يضرني الصدق وقليلا مافعل خير من أن ينفعني الكذب وقليلا مافعل . وكانوا يقولون : ماأفلح كاذب أبداً . نعم قد اصبح الكذب في لغة هذه الأمم المتمدنة في هذه العصور فضيلة بل فريضة بأسم (السياسة)

لهضم حقوق الأمم الضعيفة واستعبادها . وما نحن وهذا .

« أيها العربي »

لا تشرب الخمر . عار عليك وألف عار أن تشرب الخمر . لا لأن الإسلام حرمه أشد التحريم وسمى الخمرة ام الخبائث وشجرة المعاصي ، لا لهذا وأمثاله وهو كثير وخطير ، بل لان آباءك العرب الذين كانوا أينما سلكوا ملكوا ، وأينما سفروا ظفروا ، وحيث توجهوا فتحوا ، وكيفما قصدوا نجحوا ما كانوا يشربون الخمر . أنت أيها العربي تتغنى بحديث بسالة المثنى بن حارثة الشيباني وسعد وخالد ومحمد بن القاسم وموسى بن نصير وطارق بن زياد وأمثالهم من الفاتحين والقادة . فهل بلغك عن واحد منهم أنه كان يشرب الخمر ؟ وهل طارق بن زياد وجيشه يوم دخل الأندلس اومسلم ابن قتيبة وجنده يوم افتتح الشرق وشارف حدود الصين كانوا يحملون معهم دنان الخمر وأكواب الشراب والمزاهر والعيدان ، والمغنيات والقيان ، لعمر أبيك ما كانوا يحملون شيئا من ذلك .

وانما كانوا يحملون العزائم الحرة ، والبسالة المرة ، والقناعة بالبلغة من العيش والناشف من الاغذية . عار عليك أيها العربي وألف عار أن تدخل قطرة خمر في رأسك فيخرج منه ليس عقلك فحسب ولا مالك فقط بل كل غيرة وشهامة وعزة وكرامة .

فاذا كنت لا تقيم وزنا لدينك ، ولا تحفل بحرمة قرءانك، ولا تقتدي بنبيك وأيمتك فاقتد بالراقين من عقلاء الأمم الذين حرموه على أنفسهم لكثرة ماعرفوا من مفاسده وأضراره وإن لم يحرمه عليهم دينهم كما يزعمون ولا شك أنه قد بلغك نبأ الذين حرموه على أنفسهم في الجاهلية من كبار رجالات العرب وحكمائهم على شيوعه بين دهمائهم وكانوا يسمونه الأثم ويقول قائلهم : شربت الأثم حتى ضل عقلي الخ . نعم حرمه على نفسه كل حصيف الرأي جليل القدر زعيم في قبيلته كقيس بن عاصم وعبد المطلب وأبو طالب وأمثالهم من العظماء إشعاراً بانه من عمل الأوباش والسفلة اوالملوك المستهترين المغمورين في الترف والنعيم . وما انتشر استعماله في الاسلام إلا بعد أن صارت الخلافة ملكا عضوضا وذهب الصحابة

والتابعون ومن يليهم وماشاع إلا في الخلافة الأموية ومن أواسط العباسية ، وهي أحد الأسباب التي أضرت بالاسلام ونكست أعلام المسلمين . واعلم أيها المسلم أن كل درهم تدفعه في ثمن الخمر فهو سهم تصيب به قلب الاسلام بل سم تصبه في شرايين العروبة (١)

تلهج ناشئة العرب اليوم بذكر رجالها وأبطالها الأقدمين من جاهلية أو إسلام ولكن ليتهم يعرفونا بواحد في هذه العصور

(١) وبمناسبة الخمر هنا أنشدنا [ادام الله فوائده] أبياتا للأمير ابن ميكال وهو من كبار الأمراء في اوليات القرن الرابع ويدل على جلالته أن ابن دريد اللغوي المشهور تخلص في مقصورته الشهيرة البديعة الى مدحه حيث يقول فيها :

إن ابن ميكال الأمير انتاشني * من بعد ماقد كنت كالشيء اللقا

وهذا الأمير لفضله وكماله كان ممن حرمها على نفسه في عصر شاع فيه استعمالها بين الأمراء وقال في ذلك :

عيرتني ترك المدام وقالت * هل جفاها من الكرام أديب

هي تحت الظلام نور وفي الأكباد برد وفي الخدود لهيب

قلت ياهذه عدلت عن النصح وما للرشاد فيك نصيب

إنها للستور هتك وبالألباب فتك وفي المعاد ذنوب

وزادها سماحته فقال :

هي عند العقول عار ويوم الحشر نار وللمخازي دروب

يماثل اولئك البواسل في عزة نفسه وقوة قلبه وصلابة إيمانه وتضحيته في سبيل امته وقومه . ليتهم يأتونا بواحد من أمثال زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة وسعد بن الربيع ولا أقول مثل حمزة وجعفر وأبطال بني هاشم وفرسان قريش، أليس من العار أن يذهب اولئك بالافعال ولا يبقى عندنا سوى الاقوال والتبجح بذكرهم فنكون بأس الخلف لهم . أفلا يأخذ الخجل والحياء هذه الشبيبة التي تفتخر بعظام اولئك العظام وهي تقتل أكثر وقتها بين كأسين كأس المدام ، وكأس الغرام ، وتسمر على ثغرين ثغر الحسناء وثغر الصهباء . إذن فبمن تسد الثغور ومن يسود ويسدد الأمور ؟ أفبهذا ومثله تريدون أن تبعثوا الأمة العربية بعثاً جديداً وتخلقوا لها وحدة صحيحة ؟ فاسكتوا ياقوم ولا تتكلموا (إن الكلام محرم) (١)

* * *

« ١ » ولما بلغ دامت بركاته بالكلام الى هذا المقام تزفر وتحسر وقال : لهف نفسي على فلسطين ومجاهدي فلسطين . أبيتم اللعن وعداكم اللوم ياعرب فلسطين والثائرين منكم أحياءً وشهداء ، رجالا ونساء . وإن كان للعرب الصحاح سلالة ورثتهم أعراقا وأخلاقا ، فأنتم أنتم، وعلى غيركم العفا .

«ايها العربى»

لاتقامر . لا ـ لأن القمار فقط قد قرنه القرآن الكريم بالخمر حيث قال : إنما الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه بل لأنه متلف لمالك ثم لشرفك بل ولعقلك بل لحياتك . وهو الوقت الذي هو عمرك العزيز فانك تنفقه بالباطل والخسران وإذا ربحت اليوم شيئاً من المال فلا شك أنك سوف تخسر أضعافه غداً . ولا ترابي فان الربا أخ القمار بل أسوء منه في الاعتبار ، وقد ضرب القرآن المجيد للمرابي مثلا فجعله كالمجنون الذي يتخبطه الشيطان من المس تمثيلا لحالة الحرص التي تصيبه والانهماك على جمع المال وجلبه حيث تمكنت منه لذة الاستيلاء عليه مجانا وبغير عوض . فان المرابي يرجع اليه رأس ماله ويأخذ الزيادة أكلا بالباطل فيكون له من الحرص والفرح مثل حالة المس . ونظرا الى مافي الربا من تعطيل النواميس وترك العمل ، وتمشي رذيلة الكسل ، وسد باب المعروف

والمروءات بين الناس شدد الله سبحانه الوعيد والتهديد على المرابين وأعلنها عليهم حربا شعواء بقوله عز من قائل : ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ... فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله . وحسبك أيها المرابي تعساً وتباً بأن تكون لله ورسوله حربا .

(ايها العربي)

لا تزني . لا ـ لا لأن الأسلام بل وعامة الأديان بل وكافة العقول قد حرمت الزنى ، وجعلته فاحشة بل ومن أعظم الفواحش ، وقال العزيز في كتابه العزيز ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا . نعم لا لهذا وإن كان فظيعا ولكن اتركه ولا تقربه لأنه يقوض دعائم الانسانية ، ويناقض الحكمة الإلاهية ، ويذهب بجذور الامة ويمحق الاسر والعائلات .

إذا فتحت باب الزنى لنفسك ينفتح باب الفجور في بيتك ، وكانت المرأة في منزلك أحق بارتكابه منك ، لأنك (كما يقال) أكمل

منها عقلا ، وأشد غيرة وحصانة . فاذا دب هذا الداء الخبيث في بيتك واشترك فيه الرجال والنساء (معاذ الله) فانظر ماذا تكون النتيجة ، وكيف يكون حال الامة ، وأين عزها وشرفها ، بل أين شبابها وولدانها ، ونساها وذراريها . وأشنع من هذه الفاحشة وأسوء ـ اختها الشنعاء التي وبخ بعض الأنبياء امته بقوله : إنكم لتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين ، وأنا انزه لساني عن ذكرها ، كما انزه قلمي عن نشرها . وهي شريكة الأولى بل وأضر في قطع النسل واختلال نظام الاسر والعائلات ومعاكسة الحكمة الالاهية ، والنواميس البشرية . وما كانت العرب في الجاهلية تعرف هذه الفعلة الخبيثة بل لا يتغزلون بالذكور أصلا ويستقبحون ذلك ولا يوجد في شيء من أشعارهم ذكر الغلام ووصفه ، وانما هجم ذلك على المسلمين بدخول الدخلاء والأجانب فيه كما أدخلوا الهدمه كثيراً من العقائد الفاسدة ، والأعمال الفاضحة . نعم وإن الشهامة العربية ، ونفوس العرب الأبية ، لتأنف وحق لها أن تأنف من ارتكاب هذه الدنية . فهل في كل هذا زاجر لك ايها المسلم عن هذه القبايح والفواضح ،

واعيذك بالله أن تقرأ كلماتي هذه غدوة ثم أجدك في الحانات والمواخير عشية ، واعيذك بالله أن يغلب عليك الشيطان ـ الشهوة والشيطان فلا يكون لهذه العظات البالغة أثر في لوح ضميرك ولا بصيص نور في سماء نفسك ، وتنسيك كل تلك المفاسد والمساوي، فتركب حصان شهوتك الجامح حتى يلقيك بأتعس المهاوي .

والنفس لاترجع عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

(ايها العربى)

عليك بالاقتصاد والتدبير في جميع أحوالك ، والتدبير هو التدبر ، والاقتصاد هو الاعتدال . وعيار ذلك أن لا يكون خرجك في وقت اكثر من دخلك . بل اللازم فوق ذلك أن تكون محتفظا على الدوام بتوفير شيء من دخلك والاحتفاظ به للحوادث والطوارئ من مرض اوسفر أومساعدة في مشروع خيري أوصلة رحم أونحو ذلك من وجوه البر والاحسان .

والبلية العظمى التي دخلت على اهل هذا العصر هو صرف

الأموال فيما يسمونه بالكماليات وهي عين النقائص وضد الكمال فأذهبت ثروة البلاد واصبح الغنى والثراء صورة ليس لها حقيقة ، ومظاهر كلها بهرجة وزخرف ، ودع عنك حديث ذهاب الذهب الى خزائن الغرب حيث لم يبق بأيدينا سوى الهباء من الباء الى الياء . ولكن هلم الخطب فيما يتهافت عليه الناس عموما والعراقيون بالأخص من السرف والترف ، وما يذهب الشهامـة والشرف فضلا عن ذهاب المال وذهاب الفضيلة ، ويا ليتها وقفت على التوافه ولكن تجاوز الأمر الى البلية العظمى وهي صرف اكبر الثروة على الملاهي والفجور ، والخلاعة والخمور ، والراقصات والمغنيات ، فلم يبق في الشباب بل ولا الشيب فتوة ولا مروة ، ولا فضيلة ولا صيانة . ولقد أمضني وأرمضني ، واشعل نار الجوى باحشائي ، ما حدثني به بعض من يعتمد عليه أنه أصبح مامن دار في عاصمة العراق (بغداد) إلا وفي غرفة السلام او محل الزيارة منـه الطاولة التي عليها آلات الشراب وزجاجات الخمور الاجنبية من الويسكي ونحوه وقد تنضم اليها آلات القمار أيضاً وربما يرون أن فقدها في

المحل دليل على النقص والرجعية في أهله هذا في المسلمين وناهيك بغيرهم . فقلت يوشك أن يكون قد غضب الله سبحانه على هـذه الامة ويريد أن يحق عليها كلمة العذاب (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) .والله يعلم من المسئول عن إفساد هذه الامة اوفسادها ، ولا يتسع الحال والمجال لأكثر من هذا والى الله المشتكى ولا حول ولا .

نعم نعود فنقول . إن الاقتصـاد والتدبير اليوم من أهم الواجبات على كل فرد من العرب والمسلمين ، وهو من أنصع المزايا، وألمع الوصايا ، التي جاء بها القرآن المجيد ، وكرر الحث عليها فقال في ضابطة الاقتصاد : ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين. والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . ومن أسعده التوفيق بالنظر في الصحيفة السجادية (زبور آل محمد) بل وغيرها من الأدعية ـ يرالعجب من إلحاح الإمام زين العابدين سلام الله عليه في دعائه وطلبه من الباري جل شأنه أن يوفقه الى

الاقتصاد والتدبير ، ويمنعه من السرف والتبذير ، مع ماهو معلوم من حاله من الزهد في المال وجفائه للدنيا وحطامها ، فيقول في دعاء (مكارم الأخلاق) اللهم متعني بالاقتصاد، واجعلني من أهـل السداد ، وامنعني من السرف ، وحصن رزقي من التلف ، ووفر ملـكي بالبركة فيه وأصب بي سبيل الهداية للبر فيما أنفق منه ، ثم يطلب الغنى واليسار فيقول : اللهم صن وجهي باليسار ، ولا تبتذل جاهي بالاقتار ، فأسترزق أهل رزقك وأستعطي شرار خلقك فأفتتن بحمد من أعطاني ، وأبتلي بذم من منعني وأنت من دونهم ولي الاعطاء والمنع .

ولا يخص الاقتصاد الذي هو فضيلة أخلاقية بالمال والصرف بل هو عام ولازم في كل شئون الانسان من طعامه ومنامه ، وشغله وفراغه ، وأتعابه وتفكيره ، وعامة أعمـاله وأحواله . وهي الاستقامة والصراط المستقيم الذي فرض الله جل شأنه طلب الهداية اليه في الفرائض الخمس كل يوم خمس مرات بل عشرا وجعله من المثاني السبع (إهدنا الصراط المستقيم) (وأن لو استقاموا على الطريقة

لأسقيناهم ماء غدقا) . (واستقم كما امرت) . ولم يخص متعلق الاستقامة بشيء إشارة الى أنها لازمة على الانسان في كل شأن من شئون حياته ، حتى في عباداته وخيراته ومبراته (وحذف المتعلق كما قالوا يفيد العموم) وقد جمعت بلاغة النبوة كل ذلك بكلمتين (خير الأمور أوسطها) . والوسط هو القصد والاقتصاد . وهذه الكلمة من جوامع الكلم ودلائل الاعجاز . ثم لا يوهمنك أننا حيث ندعوا الى الاقتصاد نريد حمل الناس على الشح و البخل (معاذ الله) كيف وبذل المال في سبيل المكارم وإعانة المحاويج والفقراء وفي المشاريع الخيرية ، كل ذلك من أفضل موارد صرف المال ، وهو عين الاعتدال ، بل إنما نحث على الاقتصاد والتوفير كي يستطيع الرجل القيام بهذه المفاخر التي تبقى له حيث لا يبقى له ماله ، وتنفعه حيث لا ينفعه بنوه وأهله .

هذا كله في الاقتصاد الفردي ، وأما الاقتصاد الاجتماعي فمعلوم أنه يستحيل حياة امة واستقلالها الصحيح بدون الاقتصاد . والاقتصاد هنا هو استغناء الامة عن غيرها في كلما تحتاج اليه

في حفظ كيانها أو أكثره ، وأن يزيد صادرها على واردها ويكون طلب غيرها منها أكثر من طلبها من غيرها . ومن الغلط البين أن تطلب امة من الامم استقلالها السياسي قبل أن تحصل على استقلالها الاقتصادي واي معنى للاستقلال وأنت محتاج الى غيرك في كل ناحية من نواحي حياتك ، ومقومات وجودك . وكنت قلت في خطبتي (الاتحاد والاقتصاد) التي تكرر نشرها ما معناه : ان العرقيين لو صدقوا في طلب الاستقلال لاكتفوا من الملابس بما ينسجونه من خوص نخيلهم فضلا عن صوفهم وقطنهم ، وقنعوا عن القند والسكر من غيرهم بتمورهم ودبسهم . فما ظنك بهم والعراق وسائر الأقطار العربيه يصرفون الملايين والقناطر المقنطرة من الذهب على الخمور والكحوليات المهلكة فضلا عن سائر الفضول . فهل طلب الاستقلال او دعواه مع هذا الحال إلا خرافة وسخافة ، ومخرقة وضلال . انظر بعين بصيرتك واحكم بما شئت .

* * *

(ايها الشاب العربى)

اذا دخلت في هذه المدارس الشايعة اليوم فاياك أن تجعل همك وأقصى أمانيك أن تطوي سني دراستك لتحصل على وظيفة تعيش من راتبها وترتضع من أخلافها فتكون رجلا اتكاليا ساقط الهمة صغير النفس وحقا ان هذاهوالموت المعجل للشباب بل الهلاك المؤبد لهم الذي يميت فيهم روح الطموح وعزة النفس وعلو الهمة. والوظيفة أسوأ لجام للأحرار يكم أفواههم ، ويميت شعورهم وإحساسهم ، وكم رأينا من يتوقد حماسا وغيرة و كانت الآمال معقودة على نهضة أمثاله حتى اذا كبلوه بأغلال الوظيفة لم نسمع له بعد ذلك ذكرا ، ولم نجد له عينا ولا أثرا ، فانظر هل تحس منهم من أحد اوتسمع لهم ركزا. وهكذا تهلك الامة ويموت الشعب بموت شبابه العامل ورجاله العاملين ، وأي موت أقتل للامة من عدم تحصيل المال إلا من طريق التوظيف. واذادخلت المدرسة أي دخلت

هذه المدارس العصرية فلا تقتصر على مناهج التعليم المقررة فيها فان هذه المناهج كلها سقيمه وعقيمة وحشو للأدمغة بلفايف لاتجدي في علم ولا عمل ، ولذا لانجد في المتخرجين منها على كثرتهم في كل عام ثقافة صحيحة ، ولا وطنية صادقة بل لانجد على الأكثر إلا شبابا مستهترا يركض وراء ملاهيه ، وقتل الوقت في نواديه ومقاهيه ، فلا بضاعة ولا صناعة ، ولا فن ولا زراعة والبلاء مخيم على البلاد بحال :

تصم السميع وتعمي البصير * ويسأل من مثلها العافيه

فشق أنت لنفسك طريقا وافتح بالجد والنشاط والعمل المتواصل أبوابا من الابداع والاختراع والتأليف والتصنيف والترجمة كما فعل آباؤك العرب من قبل وكن حريصا على العلم العملي والفن النافع في استخراج أسرار الطبيعة ، وكنوز الكائنات ، وعلى كثرة ما استخرج فلاسفة الغرب من تلك الأسرار وفتحوا من تلك الأقفال فقد بقي مالا يتناهى من تلك الكنوز والدفائن .

مناهج التعليم في الشرق كله حيث أنها من وضع الأغيار بل

العدو الذي لا يريد الخير لهذه البلاد بل لا يريد لها إلا الجهل ليسهل له الاستعمار - لم يفتح لها ولا بقدر سم الخياط منفذا الى تلك الناحية من الثقافة خوف أن يتسع فيتسرب المتعلمون اليه ويخرج الشرق من قبضة الغرب وسيطرته ولو بعد حين . فان لم يكن أولم يمكن اختراع وابتداع فلا أقل من عقد الشركات والمهن الحرة والتفكير في وسائل الأعمال الحيوية التي قد تخفف ولو قليلا وطأة الحاجة المستوعبة الى الأجانب ولكن أين من يسمع ؟ بل أين من يحس ؟

ايها الشباب العربى

لا أراني بحاجة الى أن اعرفك بأن نهضة الامم اليوم بل ومن قبل إنما هي على سواعد فتيانها وقوة جلد شبابها بمعونة آراء شيوخها ، وحنكة كهولها . فاذا كان كل همك أيها الشباب حين تصبح تصفيف الطرة ، وصقل الجبين والغرة ، وترديد الجعود ، وتوريد الخدود ، وتعديل القوام وحلق اللحية والشارب اقتداء بالأجانب فتظهر كالغادة البارزه والعروس الناجزة ، واذا كان همك الترف والنعيم ،

والأصباغ والتلوين في نهارك والعكوف على مراسح اللهو ونوادي الأنس والطرب في ليلك ، والترف كما تعلم ليس مما يزيل النعم فقط بل ويجلب الذل والسقوط ، والتخنث والانوثة ، فاذا تأنثت الرجال وترجل الاناث وصار الوضع كما قال الأول :

قد بدلت أعلى مساكنها * سفلا وأصبح سفلها يعلو

فكيف يكون حال الامة وبمن تنهض من كبوتها ، وتقوم من عثارها ؟ والامة العربية كما تعلم بعد ذلك المجد الباذخ قد أخذت تتردى في مهاوي المهالك منذ أكثر من سبعة قرون ، وبهذه العصور الأخيرة قد استيقظت من صرعتها ، وتريد أن تعود الى مكانتها ، وتجري مع الامم في عنان واحد . ولكن مع الأسف (كما يقولون) لم تعمل شيئاً وما جاءت بغير تحبير المقالات ، وتحرير الأماني . فاذا لم يتصلب الشباب في عزائمه ، ويخشن في تعيشه ، وينهض بالأعمال الجدية لصالح امته ، ويرفض الترف والسرف لنيل الشرف في جميع أطواره ، كيف يرجى الوصول الى الغاية ؟ ومن طمحت همته الى المعالي هان عليه كل ذلك بل ابغضه بطبيعته

ولم يجد فيه لذة ولا سلوة ، كما نجد ذلك من حال أعاظم الرجال كالأنبياء والحكماء والفلاسفة ، فقد كان رسول الله (ص) يقول (لست من ددن ولا الددمني) . بل ماروئي مدة عمره ضاحكا وكان أكثر ضحكه التبسم ، وهكذا يكون من يريد إحياء امة وإنقاذ شعب فكيف بمن أراد إنقاذ البشرية ، وتخليص الانسانية من ويلاتها وعظيم بلائها .

أتفهم هذا ايها الشباب أم تجده مخرقة من القول ولغوا من الكلام ؟ فتنبذه وراء ظهرك وتعدو راكضاً الى لهوك ولعبك ،أما انا فقد أديت ماعلي من النصح والاشفاق وبقي ماعليك والله يتولاك بتوفيقه وهدايته .

(ايها العربى)

أتدري ؟ وليتك على الحقيقة تدري ، ان اعظم جامعة للامة واقوى رابطة لها وارفع شارة وشعار هو لغتها فبمقدار انتشار اللغة في البشر وبمقدار سعتها وإحاطتها ووفائها بالاصول والفروع

والحاجات والكمالات تكون عظمة الامة . فعظمة الامة بمقدار عظمة لغتها ورفعة شأنها بين الامم ، بل لا اعرف للقومية معنى وحقيقة سوى جامعة اللغة ووحدة اللسان . فكل من اتقن لغتنا وخدم أدبنا وثقافتنا فقد خدم ديننا وشد جامعتنا (قصد ذلك ام لا) وهو معدود منا وداخل في جامعتنا وقومنا سواء كان مسلماً أو غير مسلم وسواء كان من أصل عربي أم من أصل آخر . وكل من خرج عن لغتنا ورفض لساننا فليس منا وإن زعم أنه يدين بديننا ويشاركنا في مبادئنا وعقيدتنا . فالأتراك بعد أن رفضوا لساننا ومسخوا قرآننا ، وغيروا شريعتنا فقد خرجوا من حظيرتنا وانفلتوا من جامعتنا ، وإن زعموا أنهم مسلمون فاننا نرى أنه لاتجتمع الحفيظة على الاسلام مع رفض لغته ، ومسخ قرآنه ومعجزته الى لغة اخرى ، بل الواجب على من يتدين بدين الاسلام أن يتعلم لغة كتابه وسنته ، ولسان شرايعه ونواميسه ، ولو على الأقل مايستطيع معه أداء فرائضه وطقوسه باللسان الذي شرعت فيه ولذا لاتجوز الصلاة إلا بالعربية عند أكثر المذاهب ومن جوزها بغير العربية فقد نزع به عرقه ،

وجره الى ذلك أصله . والايرانيون إخواننا ماداموا يقرأون قرآننا ويصلون بصلاتنا ولم يحوروا الكتاب والسنة عن وضعهما. وهذه هي الخدمة العظمى والجامعة الكبرى التي أسدتها شريعة الاسلام الى عموم البشر وقد أحسنت صنعا الى القافلة البشرية واللغة العربية معاً ، وعقدت بذلك الاخوة الايمانية (إنما المؤمنون إخوة) فوحدة الايمان تدعو الى وحدة اللسان ووحدة اللسان واللغة رابطة والرابطة إخاء ، واخوة الأدب فوق اخوة النسب وهي التي توحد العناصر المختلفة بل والمذاهب المتغايرة . فالنصراني واليهودي والمجوسي والصابئي الذين يخدمون لغتنا وثقافتنا ويسالموننا ويواسوننا في السراء والضراء ولا يساعدون الاعداء علينا ويحامون عن أوطاننا هم إخوان المسلمين وداخلون في ذمتهم ويلزم حمايتهم - لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وتجمعنا معهم الوحدة القومية والآيات الكريمة كلها تنادي وتشهد بذلك (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين . فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) كما أن

العناصر المختلفة والشعوب المتفرقة من ايراني وتركي وهنـدي او صيني او غيرهم اذا دانوا بدين الاسلام وحافظوا على لغة القرآن والحديث فهم اخواننا بجامعة الاسلام بل وبالوحدة القومية بمعناها الواسع . فالأجنبي الذي يتقن لغتنا ويدين بديننا فهو منا والعربي الذي لا يتقن لغته ولا يعرف لها معنى ولا يقيم لها وزنا ، ماهو من العرب ولا كرامة . ومن عق العربية فهي أحرى بان تعقه وتبرأ منه . إذن فكم من الواجب الموكد على إخواننا العرب النجباء في المهجر سواء في أمريكا او افريقا او غيرهما أن يحافظوا على اللغة العربية وأن يعنوا بها أشد العناية ويعلموها اولادهم وناشئتهم من الصغر ويجعلوها هي اللسان الذي يتفاهمون ويتحاورون به في بيوتهم مع نسائهم وأطفالهم وخدامهم . ولا شك انهم يعلمون أحسن العلم أنهم اذا أهملوا لغتهم ونشأ فتيانهم وفتياتهم لا يعرفون شيئاً من لغة آبائهم بل اذا لم يجعلوها اللغة المتأصلة فيهم فقد خسروهم وخسرتهم الامة العربيـة وهي اعظم خيانة لله والدين والوطن وليعلموا أن فناء الامم بفناء لغتها وتقاليدها ، هذا مع احترامنا

لسائر اللغات ولكافة العناصر .

كما أن الواجب الأكيد على جميع المسلمين أن يلتفوا حول راية الإسلام ويكونوا قلبا واحدا ويدا واحدة ولا يتركوا مجالا للحزازات الطائفيـة والخلافات المذهبية في نفوسهم . فان هذه النزاعات كانت ولا تزال أقوى سلاح للاستعمار . وأشهد بالله شهادة حق أنه مافتح المستعمر بلاد المسلمين بمدافعه وطياراته وعدته وعتاده وإنما فتحها بسموم التفرقة وبذور البغضاء والشحناء التي بثها بينهم . كل طائفة من المسلمين اليوم تدين بحسب مذهبها بحرمة عرض كل مسلم كحرمة دمه وماله وأن المسلم أخ المسلم يجب عليه أن يناصره ويحفظه ويحامي عنه ويواليه ولكن مع ذلك نجد النزاعات لاتزال تأتي بأسوأ الآثار من التشاجر المفضي الى إراقة الدماء وقتل المسلمين بعضهم لبعض سيما في الهند كل عام على أوهام يبرأ منها الاسلام ، فهل هذا إلا من تحريش الأجانب وتحريك المسيطرين وسذاجة المسلمين . ونحن في رسالة(عين الميزان) وإن أقمنا البراهين على فسق طائفـة الخوارج أو كفرهم ولكن هذا خاص

بالخوارج الغابرين في القرن الأول الذين كانوا يكفرون المسلمين ويحاربونهم وقتلوا جملة من خيار الصحابة وكانوا من المفسدين في الارض والمارقين من الدين كما أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وآله أما الخوارج اليوم الذين في عمان وغيرها فهم من إخواننا المسلمين لأنهم لايحاربون مسلما ولاينصبون كأسلافهم لأهل البيت (ع) عداوة وبغضا . وجميع طوائف المسلمين ممن يشهد الشهادتين ويوالي ولا يغالي فهم على خير وفي سبيل نجاة . وأهم واجباتهم اليوم الأتفاق والوحدة وأن يصهروا الطائفيات والاقليميات بينهم حتى تذوب وتتلاشى ويكونوا سبيكة واحدة .

ايها العربى

إن أمراضنا الاجتماعية وأسقامنا الأخلاقية كثيرة بل وفوق الكثرة بكثير ولكن من أعظم ماأصابنا معاشر العرب خصوصا بل والمسلمين والشرق عموما هوداء الكسل والجمود ، والبطالة والخمود ، وبعبارة أجلى ضعف الهمة وصغر النفس وفقدان

روح الطموح والنشاط العملي . والحياة اليوم ، بل ومن نواميس الكون أن الحياة الصحيحة لا تنهض إلا على أقدام الاقدام وأيدي العمل الحثيث وبه ينال المرء المال الذي هو المعبود الأعظم للبشر سيما في هذا العصر عصر المادة . وقد أصبح المال ولعله لايزال ، هو القوة والسلاح والعز والحرز ، والجمال والجلال ، بل هو الكل في الكل بل هو كل شيء حتى قيل لبعض أعاظم الملوك : ماذا تحتاج لكي تملك الدنيا وتصلح العالم . قال الى ثلاثة أشياء أولها المال ثم سكت متأملا فقيل فالثاني قال ايضا المال . ثم سكت فسئل عن الثالث . قال هو المال أيضا . ولعله يريد أن ملك العالم وصلاح الدنيا يتوقف على ثلاثة . المال . والرجال . وسداد الأعمال . وحيث أن أساسها المال حصر الثلاثة فيه . ولكن من الجلي الواضح أن المال إنما يجدي وينفع حيث ينضم اليه العلم النافع وإلا فالمال عند الجاهل كالسلاح بيد المجنون يوشك أن يهلك نفسه وسلاحه وسايسه . ومن يريد التقدم بالمال وحده كمن يريد أن يمشي على رجل واحدة سرعان ما يسقط ويهلك فتحصيل المال مهم بل واجب ولكن

أهم منه وأوجب تحصيل العلم معه حتى يعرف كيف يكسبه وكيف يحفظه وكيف ينفقه ، من أين يؤخذ وأين يوضع .

وكل عاقل سديد يعلم أن أحسن موارد إنفاق المال أو فضول المال هو مشاريع البر والاحسان وما يعود بالنفع والخير لأمته وبلاده أو لعامة البشر . ولكن هذا يحتاج ايضا الى معرفة واسعة وفكرة عميقة في تشخيص النافع من الأعمال وتعيين المهم او الأهم منها .

وكثيرا مانجد من اولي الثروة من يرغب في المعروف ويبذل المال في سبيل الخير والاحسان ولكن يخطئ مواقعها ، ولا يصيب مواضعها ، أو ينفقها في غير الأهم وغير موضع الحاجة ، وإصابة مواضع السداد في البذل يحتاج مع مزيد التحري الى لطف عناية من الحق وتوفيق .

أقصى ما اريد بيانه بأوسع ما يتسع له البيان أن من نواميس الحياة واصول هذه النشأة وجوب أن يجتهد كل إنسان طول حياته بتحصيل العلم والمال معاً وأن أحدهما لا يغني عن الآخر وهما كالجناحين للطائر والرجلين للانسان لا ينفع أحدهما بدون الآخر وبكل منهما يمكن جلب الآخر فبالعلم قد يجلب المال وبالمال قد يجلب العلم

ورأيت في بعض حكميات الفرس ماترجمته شعراً :

لقدعرفي الدهر كماعرف أمثالي بأن العلم والمال جماع الشرف العالي

فقدر المرء بالعلم * وقدر العلم بالمال

وأحسن من هذا قول شاعر الوحي حسان حيث يقول :

رب علم أضاعه عدم المال * وجهل غطى عليه النعيم

والحقيقة العليا هي أنهما معاً محتاجان الى ثالث هو المدبر والمسير لهما والأمير عليهما فلا المال يجدي ولا العلم ينفع بدون إرشاده ودلالته ، ألا وهو العقل . وهل خلق الله خلقاً أفضل من العقل وأنبل وأشرف من العقل ؟ وهل ينفع العلم أو المال بغير عقل ؟ وكم من عالم هالك بكلمة كان فيها حتفه وعلمه معه لم ينفعه لأن عقله لم يكن معه فيضع الكلمة في موضعها أو يمسكها عن غير موضعها ويعرف متى يجب أن يتكلم فيتكلم ومتى يجب أن يسكت فيسكت ومن أين يكسب المال وأين ينفقه وأي علم يطلب وكيف يطلبه . كل هذه وظائف العقل وخصائصه . وهو الذي يسير الانسان على الصراط المستقيم ، والمنهج القويم ، ويدفعه الى النافع ويمنعه عن الضار في كل حركاته

وسكناته والعقل يأتي بالعلم والعلم لا يأتي بالعقل وكلمة الخليل بن أحمد مع ابن المقفع بعد أن اجتمعا وافترقا مشهورة . وإن شئت أن ترى بعينك كيف ينفصل العلم عن العقل فتجد العلم قائما بأوسع معانيه ولكن الحكم معه للهوى والشهوة وتجد العقل معزولا ـ لا يأمر ولا ينهى ، إن شئت أن تعاين ذلك جليا فأمعن النظر في دول (اوربا) اليوم التي يوشك أن يقال أنها بلغت الغاية التي يمكن أن تصل اليها القوة البشرية في العلوم والاختراع واستخراج أسرار الطبيعة وكنوزها ولكن أين منها العقل وها هي قد أصبحت تتشاحن فتتطاحن ويجتهد كل منها لاختراع الآلات الجهنمية التي تبيد في بضع دقائق الوفا من البشر ، تجتهد في هلاك الملايين من عنصرها ومن العناصر الأخرى التي جعلتها خصوما لها . ولو كان عندهم من العقل معشار ما عندهم من العلم لعرفت كل دولة حقها ولم تتجاوز حدها . ولو انهم صرفوا أفكارهم وجهودهم التي يصرفونها في اختراع تلك الآلات المهلكة فأعملوها في اختراع ما يوجب راحة البشر ونعيمهم لأصبحت الدنيا اليوم من جنان الفردوس ولأمكنهم

أن يستعمروا كرة المريخ . فهل تشم أو تبصر في حال هذه الدول المتحاربة اليوم رائحة من العقل او شبحا منه وهل تجد لتألف كل تلك النفوس سبباً مبررا سوى الأوهام وشدة الحرص ونهمة المطامع ـ يريد كل منهم السيادة العالمية وهل تحق السيادة العالمية لمن يأخذها بالبطش والقهر والفتك والقوة ؟ وهل السيادة العالمية حق إلا لمن ينفع البشر ويملك القلوب بالاحسان اليها وكثرة إيصال الخير والمعروف لها أرأيت هنا بجلاء كيف يكون العلم والذكاء ولا يكون العقل ؟ أرأيت كيف يكون المال والنشاط قائما ، ولا يكون العقل حاكما ؟ بل يكون الحكم للهوى وللشهوة، والقوى والقوة . (أرأيت من اتخذ إلاهه هواه وأضله الله على علم) ورحم الله ابن دريد إذ يقـول :

وآفة العقل الهوى فمن علا * على هواه عقله فقـد نجـا

إذن فالعقل فوق العلم كما هو فوق المال وهنا أمر رابع هو فوق الكل (فيما يقولون) وهو الحظ الذي قالت عنه ام الاسكندر (فيما يحكى) حين دعت لولدها قائلة : اللهم ارزقه حظا تخدمه به ذوو

العقول ولا ترزقه عقلا يخدم به ذوي الحظوظ . وهذا أمر نجـد كثيرا في الشهود أثره ، ولا نعرف سره . ولعله من غوامض اسرار المشيئة والعناية الأزلية فنحن لا نثبته ولا ننفيه .

(ايها العربى)

لا تكن جبانا . فان من ألمع سجايا العرب وأنصع ما عرفوا فيه وفاقوا الامم به هو الشجاعة والكرم وهما حليفان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر . وقد قالوا لا بد وأن يكون الشجاع كريما لأن من يجود بالنفس فأحرى به أن يجود بالمال ، ولم تختلف هذه القاعدة وهي ملازمة الشجاعة للجود إلا في ابن الزبير المشهور فانه بلغ الغاية في الشجاعة كما بلغ الغاية في البخل ونوادره بذلك مشهورة . ولكن الملحوظة التي يجب الدلالة عليها هي أن الشجاعة التي هي من أفضل فضايل النفس وأنبل صفاتها لا تختص بالاقدام في الحروب واقتحام نيران الوغى ، وخوض غمار المنايا ، بل الشجاعة ملكة راسخة في النفس قد توهب وقد تكسب . أثر تلك

الملكة عدم المبالاة بالحتف والأذى في الانتصار للحق ودفع الظلم والباطل وبذل النفس للشرف والمبدأ فان خرجت عن هذا الميزان فهي تهور وحماقة . ومن أظهر آثارها الصراحة والمجاهرة بالحق والدعوة الى القسط والعدل في كل مقام وعند كل أحد سيما عند الملوك والأمراء وولاة الأمور . وفي الحديث : أفضل العبادة كلمة عدل عند سلطان جائر . وهكذا كان العرب في الجاهلية والصدر الأول من الاسلام يوم يقول الواحد منهم للخليفة إن لم تستقم قومناك بسيوفنا . وليس السكوت على الضيم وعن الظلم والقعود عن مقاومة الباطل والجور إلا شيمة من فقد تلك الملكة الفاضلة يعني من خور النفس وضعف العزيمة والخلود الى الحياة الدنيا ولكنه اخلد الى الأرض . وهذا المرض هو الداء المتفشي فينا جميعا معاشر المسلمين اوالشرقيين لا يكاد يسلم من بلواه أحد . يأتي اليك الرجل من معارفك فيظهر لك الود والإخاء ويتمنى أن يكون بنفسه وأهله لك الفداء وأنت تعلم بكذبه وأنه يجاملك بل يخادعك ويبيعك بالجزاف فتقابله بمثله وتكيل له بصاعه بل

تزيد عليه ولا تصارحه فتقول له أنت كاذب وبذلك تجرأه على هذه السخيمة حتى يصير له الكذب والنفاق عادة بل يتجرأ على غيرها من الآثام والجرائم متدرجا فيها الى الأفظع فالافظع حيث لايجد نكيرا ولامنكرا عليه (١)

ومن هنا نقول (وحقا مانقول) إن المسئولية في الجريمة لا يختص بها المجرم بل يشترك فيها أهله وأقرانه وبيئته وكل من يتصل به ولو كانوا صالحين أو كان فيهم صالح لظهر تأثيرهم عليه وردعه عن تلك الجريمة لكنه يرتكبها على سمعهم وبصرهم وليتهم يكتفون بالأغماض عنه بل قد يحبذونها له ويشاركونه فيها على حد قوله :

رأيت الناس خداعا الى جانب خداع
يعيشون مع الذئب ويبكون مع الراعي

(١) ولقد أحسن القائل بهذا المعنى :

بعض الذنوب التي تخشى عواقبها * نتايج وذنوب البعض أسباب
لولا الرياء ولولا الجبن ماانتشرت * فينا الدنايا ولا عاب الورى عاب
إنا سكتنا عن الكذاب فانفتحت * أمامه لفنون الكذب أبواب
يلقي علينا أكاذيبا ملفقة * ولا نقول له اسكت أنت كذاب

وبهذا ومثله شاعت المنكرات ، وتفشت الرذائل ، وأصبحت هي الملكات الراسخة وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا كما قال :

غاض الوفاء وفاض الغدر واتسعت

مسافة الخلف بين القول والعمل

وهذا نتاج ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من أعظم ماجاءت به الشريعة الاسلامية من النواميس المقدسة وحثت عليه أكثر من حثها على الصلاة والصوم فان هذه الفريضة هي الدعامة التي ترتكز عليها جميع فرائض الاسلام فاذا انهارت سقطت جميع شرايع الاسلام بل تهدم الاسلام كله . وهي أعظم سياسة مدنية حيث جعل كل واحد رقيبا على كل واحد والكل عليه المسئولية عن الكل . فالجريمة إثمها على الجميع لا على المجرم فقط .

وحقا ان الانسان صورة معناها وحقيقتها أفكار وأعمال تكونها بيته وتربيته وبيئته . وكل واحد من هذه الثلاث له الأثر التام في تكوين نفسيته . ومن هنا صار الرجل يعرف بقرينه (عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه) والصاحب هو الذي يخلق أخلاق

الرجل ويصورها بالصحبة فضلا عن الترغيب ، وتأثير الصحبة أمر عجيب .

كم صالح بفساد آخر يفسد * كالجمر يوضع في الرماد فيخمد

فاياك وقرناء السوء وإخوان المكاشرة ، فانك لا تربح منهم إلا خسران الدنيا والآخرة (وذر الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا) .

« ايها المسلم »

أتدري - أن آباءك الفاتحين في صدر الاسلام الذين اتصلت مغازيهم وفتوحهم من أثباج الجزيرة الى أمواج البحر الأطلسي ووصلوا الى سواحل المحيط شرقا وغربا . أتدري أن هؤلاء كانوا لا يتركون الصلاة في وقت من الأوقات حتى في حومة الوغى وعند معترك المنايا وفي أشد مواقع الخوف . وفي الاسلام صلاة تعرف (بصلوة الخوف) اذا خافوا أن يدهمهم العدو في صلوتهم فتصلي طائفة وتحامي عنها أخرى وهكذا . وقد شرعها وشرحها الكتاب

بقوله : (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة) . الى آخرها . كانوا لايتركون الصلوة بين الصفوف ، وعند اشتباك الحتوف ، لايتركونها في أشد مواقع الخوف . أبالحق أن تتركها حتى في مواقع الأمن والراحة ، ومواطن الطمأنينة والدعة . أتدري أيها المسلم (وأين المسلم) أن الذي فرض على العباد الصلاة والصيام والحج والزكوة ما كان محتاجا الى شيء منها ولا يريد أن يوفّر بها ملكه وسلطانه ، ولكن لمصلحتك شرعها ولفائدتك وفائدة المجتمع فرضها ولو أردنا بيان تلك الفوائد لاحتجنا الى اكبر موسوع .

أيها المسلمون . (وأين المنادى) أليس من المؤسف المحزن ان المواخير والمقاهي والحانات في أوقات الصلات تغص بكم ، وتكتض من حشدكم ، وتملأ بطونها التخمة من جموعكم ، ومساجدكم خاوية طاوية . أهكذا كانت المساجد عند أسلافكم ؟

« ايها المسلم »

يجب عليك في علم الأخلاق أن تستحضر في اكثر أوقاتك

النطفة التي نشأت منها ، وما في أمعائك التي تنطوي عليها ، وأنك من التراب ، والى الدود والتراب . فاذا تصورت ذلك مليا فهل يبقى في رأسك ذرة من الكبرياء والخيلاء والترفع والتعاظم ؟ وهل تصعر بخدك وتشمخ بأنفك ، وتتمايل بأعطافك ؟ وأنت تعلم الى ذلك أنك عرضة للبلاء وهدف للمنية في كل لحظة من لحظاتك ومع كل نفس من أنفاسك . لاتدري بحجر أي منية تعثر ، وبسهم اي حتف تصاب . وهل تحسد احداً على نعمة هي بعرض الزوال ، بل هي وصاحبها زائلة على كل حال . ومن محكمات الشعر وحكمه قوله

لاتحسدن على تظافر نعمة * شخصا تكون له المنون بمرصد

لو كنت احسد ماتجاوز همتي * حسد النجوم على بقاء سرمد

وهل تغبط أحداً إلا على العافية والعلم والفضيلة . فتواضع أيها المسلم ولكن في عز وتصاغر ولكن في كبر نفس تواضع ولكن بعظمة وتطامن ولكن مع علو همة واطلب معالي الامور ولكن بهدؤ وسكينة وحافظ على صحتك لتكون دعامة قوية في بناء الامة واجتهد بتحصيل المال ولكن من طرقه المشروعة وإياك والحرص فانه من الرذائل المهلكة ، وليكن حرصك على

الأعمال الصالحة ، لا على حطام الدنيا الكالحة ، للشرف الخالد ، لا للنعيم البائد . واستحضر متذكرا على الدوام هذه الآية الباهرة في تمثيل الدنيا وحطامها الزائل : واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فاصبح هشيما تذروه الرياح و كان الله على كل شيء مقتدراً . وهذه الآية الكريمة من أبدع مايقال في تمثيل حال الدنيا حيث شبه زهوها وزهرتها بزهو النبات الأخضر الذي يأخذ بالبصر وتهفو اليه النفوس والأرواح ثم لايلبث ان يعود هشيما تذروه الرياح ، وأمعن النظر في الآية التي بعدها وهي كالمفسرة او المتممة لها إذ يقول جل شأنه : المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا . ولا نريد من ذم الدنيا بعثك على ترك العمل ، والبطالة والكسل ، بل المراد أن تخفض من غلوائك ، وتحط من كبريائك ، وأن لا يحملك الحرص وطلب الدنيا على سحق الحق وهضم الحقيقة وأكل المال بالباطل .

أتدري (ايها المسلم) ماهي البذرة الاولى والجرثومة الطيبة المباركة التي هي الأصل والمنبع لجميع معالي الأخلاق ، وكل

صفات الكمال النفسية ، والتي هي الإكسير الأكبر الذي يحور الانسان من النفس الحيوانية البهيمية الى الروح الانسانية بل الروح الملكية ويصعد به الى صوامع الملكوت ، وجوامع الجبروت ، والملأ الأعلى ، فيحتقر الدنيا وتصير عنده أصغر من قلامة ، وأحقر من قمامة ؟ أتدري ماهي الشجرة المباركة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ومنها تنبت وتمتد جميع أفنان الفضائل المثمرة التي تؤتي أكلها كل حين باذن ربها . ألا وإنها قوة اليقين ، وصلابة الايمان وهذه هي الروح التي نفخها رسول الله (ص) في أصحابه ، والاكسير الذي صيرهم سبيكة ذهب تشع وتلمع ، وتضر وتنفع . اعطيك مثالا واحدا لقوة يقينهم وصلابة إيمانهم ، والأمثلة منهم كثيرة لاتحصى ، جهز النبي (ص) لحرب الروم ثلاثة آلاف وكان عدوهم بمائتي الف أو ثلثمائة الف ، وأمر على جيشه زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب (ع) وعبدالله بن رواحة ، ولما خرج المسلمون لتشييعهم قالوا لهم : صحبكم الله وردكم الينا سالمين . فقال ابن رواحة :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

او طعنة من يدي حران مجهزة * من أروع تنفذ الأحشاء والكبدا

يسألون له السلامة وهو يسأل من الله الشهادة وهكذا كان .

أما جعفر فعرقب فرسه يأسا من الحياة وتوطينا على الموت حتى قطعت يداه وصرع . برز عمار بن ياسر في صفين الى الحرب وهو ابن تسعين سنة . وكان النبي أنبأه بشهادته وأنه تقتله الفئة الباغية ، وأعطاه علامة أن آخر شرابه من الدنيا ضياح من لبن ، وبعد أن جال في الميدان وصال وقتل جماعة من الأبطال عطش واستسقى فجيء له بضياح من لبن فلما رآه كبر وقال هذا ماوعدني رسول الله ولما عرف أنها ساعة شهادته أخذته نشوة الفرح فصار يهرول في حومة الوغى ويقول : اليوم ألقى الأحبة ، محمداوحزبه . وقاتل حتى قتل .

أما شهداء الطف فقد ضربوا في هذا الباب المثل الأعلى الذي ماحدث التاريخ بمثله . فيا ايها العرب جهزوا لأنفسكم جيشا بمثل هذا الايمان وعلى صخرة هذا اليقين وبمثل تلك القلوب . ولاخير في جيش لا تكون له مثل تلك القلوب ، ومن قلوب لا يكون فيها مثل تلك العزائم . وهؤلاء الجنود الذين لهم ذلك الإيمان واليقين هم الذين

تبنى بهم الممالك ، وتقوم بهم الدول ، وترسخ بهم لامتهم دعائم العز ، حتى يأخذوا مكانتهم بين الامم .

فيا ايها العرب هل تنهضون ، فتصنعوا ماصنع آباؤكم الأولون ، وحيث بلغ بنا الكلام الى سدرة المنتهى من الفضائل وهي صحة اليقين وصلابة الايمان الذي هو ينبوع كل خلق كريم وينبعث منه خلق الاعتماد على النفس الذي لا يبلغ الانسان حد الرجولية الا به . فيجدران نجعله خاتمة ماأملينا عليك من النصائح والعظات لعامة الامة . اما الذي يخص مايسمونه [بالجنس اللطيف] اللواتي جعل الله احضانهن اول مدرسة للناشئة بل اهم مدارسها فنصيحتي اليهن ان يتعلمن ويخرجن عن الامية ، ولكن قدر مايعرفن حقوق الزوجية والامية ، والشئون البيتية ، وتربية النشأ وتغذيته مع اللبن بالوطنية الصادقة والخلق الكريم ، وان يحافظن على كونهن نساء ابدا كما خلقهن الله فلا يترجلن ولا يتبرجن ولا يعكسن نواميس الطبيعة ونظام الفطرة فتصير النساء رجالا والرجال نساء . ويجب على الرجال احترامهن ومعرفة انهن شريكات الحياة ، وان لهن مثل

الذي عليهن. والمرأة اذا حفظت عفتها وقامت بواجباتها فهي افضل من كثير من الرجال القاصرين ولقد أحسن بعض انبياء الشعر بقوله

ولو جاز حكمي في العالمين * وعدلت اقسام هذا الورى

لسميت بعض النساء الرجال * وسميت بعض الرجال النسا

وما احتكر الله العقل والكمال للذكور وحرم منه الاناث ولكنها منح ومواهب يهب منها مايشاء لمن يشاء من عباده . وما ورد في بعض الأحاديث من انهن ناقصات العقول فالمراد به عقل التجارب المستفاد من كثرة الاحتكاك والممارسة ومزاولة المعاملات والمغامرات لا العقل الغريزي الفطري . وهل يرتاب أحد أن المرأة المتعلمة المصونة افضل من الرجل الجاهل او السافل . ولكن ايتها المرأة عليك لزوجك وبيتك واسرتك واجبات كثيرة ومسئوليات عظيمة ، وانت (كما يقولون) نصف الامة او كلها باعتبار آخر ، ويجمع تلك الواجبات (امران)(الصيانة) و (الامانة) صوني عرضك وشرفك ولا تخوني زوجك في بيته وتربية ولده وكوني قرة عينه وقلبه بحسن الخدمة والاخلاص (وكما قالوا) كوني له امة يكن لك عبدا، اذن فقد

اديت رسالتك وقمت بجميع واجباتك، وهنيئا للامة التي تسعد بامثالك،

* * *

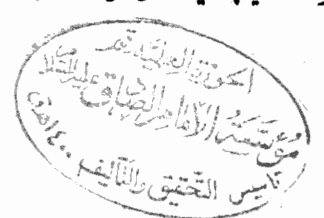
هذه نصائحي أمليتها عليكم لعامة العرب والمسلمين فان نفعت فذاك ماكنت ابتغي واتمنى . والمنة لله تعالى . والا فما هي باعظم من كتاب الله العظيم الذي نبذه الناس وراءهم ظهريا ، وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا ، وما يضرون سوى انفسهم لو يعقلون . اما ماطلبتم مني من بث بعض النصائح (لملوك الاسلام) و (حكومات المسلمين) لو صح هذا التعبير – فللكلام معهم وسوق الحديث اليهم مقام آخر إن سمحت الظروف وسنحت الفرص . وإلا فأمرنا وأمرهم الى الله وهو يقص الحق وهو احكم الحاكمين .

* * *

هذا ماتيسر لنا جمعه من كلماته (دامت بركاته) ولا أجدني بحاجة الى بيان مافيها من الروح السامية والعظات البليغة فانها تدل على سماتها بذاتها وعلى جوهرها بنفسها . وحقا ان الامة العربية

قداصبحت اليوم. بأشد الحاجة الى مثل هذه النصايح من اب روحاني وحكيم رباني تتفجر الحكمة من ينابيع قلبه فيجري نميرها العذب على لسانه ومن رشحات اقلامه . وتلك الروح الزكية ، والنفحات القدسية الفياضة بالحنان والشفقة والتلهف على الامة العربية ، يجدها الناظر في سائر مؤلفاته وخطبه ومقالاته ولو جمعت رشحات قلمه وفتاويه وخطاباته النارية في خصوص فاجعة فلسطين لجاءت اكبر موسوعة وانفس مجموعة . ولم يقتصر (مد الله ظله) في عزماته الجبارة واعماله الجليلة وخدماته الجلى للعرب والاسلام على التأليف والخطب والردود في الذب عن الاسلام . بل ضم الى ذلك تحمل مشاق السفر الى العواصم الاسلامية كمصر وسوريا والقدس والحجاز وايران والبصرة يخطب ويهتف بالجوامع والمجامع ويهيب بالمسلمين داعياً الى الوحدة والاتفاق ونبذ الفرقة والشقاق وقد طبع كثير من تلك الخطب ومالم يطبع منها اكثر ، وما اكتفى بذلك من الاعمال الجليلة حتى أنشأ مدرسة لطلبة العلوم الدينية متمحضة في العربية خالصة من كل عجمة وضم اليها مكتبة والده العلامة المرحوم الشهيرة المحتوية على

نفائس المطبوعات والمخطوطات مع ماضمه اليها من كتبه الخاصة
وجعلها مكتبة عامة تفتح أبوابها كل يوم للمطالعين والمراجعين ولها
وللمدرسة خدام وعمال لهم رواتب وجرايات شهرية مع سائر
تكاليف المدرسة كل ذلك من ماله الخاص وما تكلفه من الديون .
وقد تكلفنا طبع هذه الرسالة في هذا اليوم العصيب مع ازمة الورق
المشهورة عسى ان يجتمع شيء من ريعها فنحصل منه مساعدة لبعض
تكاليف المدرسة او المكتبة . وإن كان جل ماقصدناه وتوخيناه
هو استخراج تلك اللئالي الثمينة من اصدافها واهداؤها للعرب
والمسلمين هدية روحية اخلاقية عسى ان ينتفعوا بها ويسيروا على
ضوء هدايتها فيسعدوا ونسعد بسعادتهم انشاء الله تعالى



الناشر
عبد الغني الخضري

﴿ فهرست مؤلفات سماحة الحجة كاشف الغطاء ﴾

﴿ خصوص المطبوع منها ﴾

الدين والاسلام جزآن

المراجعات جزآن

التوضيح في الانجيل والمسيح جزآن

الآيات البينات

نبذة من السياسة الحسينية

أصل الشيعة وأصولها

خطبة الاتحاد والاقتصاد

خطبة فلسطين التاريخية

الخطب الأربع

سؤال وجواب فقه

حواشي التبصرة فقه تام


قفسه
ردیف